

كوميديا مسرحية من ثلاثة فصول

للكاتب الايرلندى الساخر
وزعيم الأدب الانجليزى المعاصر

جورج برنارد شو

افتتحت بها الفرقه القومية موسمها المسرحى ١٩٦٠
فى يوم السبت ١٩ نوفمبر سنه ١٩٦٠

على
مسرح محمد فريد
القــومى بالقاهرة

قام بدور المستر سارتورياس * الاستاذ حسين رياض

قام بدور المستر ليكتشيز * الاستاذ حسن البارودى

وقام بدور المستر وليم كوكين * الاستاذ سعيد أبو بكر

وقام بدور بلانش (مس سارتورياس) * السيدة سهير البابلى

وبدور الدكتور هنرى تريتش * الاستاذ كمال حسين

وبدور الخادمة والوصيفة * الآنسة أنجى إسماعيل

أخرج الرواية

الاستاذ نور الدين الدمرداش

أقوال المجلات والصحف

أحدثت مسرحية (بيوت الأرامل) ثورة شديدة فى الرأى العام ، وتحدثت عنها الصحف والمجلات ، وأذيعت أهم مشاهدها فى الاذاعة بمحطتى القاهرة وصوت العرب مع تعليق مخرج الرواية ومدير المسرح القومى ﴿ الأستاذ أحمد حمروش ﴾ وكتب عنها فى صحيفة الاهرام ﴿ الأستاذ كمال الملاخ ﴾ وأفردت لها جريدة المساء صفحة الفن كاملة ، كما كتبت عنها صحف دار الهلال وأخبار اليوم والاذاعة والصحف الأجنبية الشيء الكثير .

ونقتطف من أقوال الصحف ما يأتى :ـ

صحيفة الأخبار

فى صفحة أخبار الفن

بتاريخ الاثنين ٢٧ نوفمبر ١٩٦٠

الذين يفهمون مسرح برنارد شو

بهذا الشكل يساهم المسرح القومى فى خلق الوعى المسرحى ... أن مسرحية ﴿ بيوت الأرامل ﴾ التى يقدمها الآن المسرح القومى من تأليف جورج برنارد شو وترجمة الاستاذ محمد رضا حسن ، هى

درس عملي فى التأليف للمسرح ، ومعروف مما كتبه نقاد الغرب انها ليست أقوى مسرحيات شو ، ولكنها مع هذا ولهذا تقدم لنا برهانا واضحا على تفاهة مستوانا فى التأليف ، لو قورنت هذه الرواية بجميع محاولاتنا فى التأليف المسرحى . والواقع أن الفرقة كان يجب أن تذيع بيانا عن سياستها الفنية فى الموسم الجديد ليتعاون معها الجميع فى اختيار أنضج المناهج وليس أنضج الروايات . لاشك فى أهمية المترجمات مثل هذه الرواية ، ولكننى أفضل وضع منهاج لاختيار الروايات التى تمثل مختلف العصور والمؤلفين بشرط اتباع الترتيب الزمنى . ولو أننا عرضنا أنضج روايات العصر الحديث لما استفدنا منها كما استفدنا منها كما نستفيد لو بدأنا بعرض روائع المسرح ابتداء من عصر الأغريق . وما دامت الفرقة لا تركز اهتمامها على شباك التذاكر فما المانع من تخصيص فترة فى كل موسم للعرض المنهجى ، وفترة أخرى للمترجمات الحديثة .

أن رواية (بيوت الأرامل) تمثل خصائص برنارد شو بوضوح . انها تعلمنا كيف يعرض فكرته على لسان شخصياته بحيث تستنفد كل شخصية وجهة نظرها فى كل موقف . وهى تعلمنا معنى الصراع وتعطينا فكرة عن قوة الحوار وتبين لنا لمحات رائعة من سخرية (شو) ، وترينا كيف يشيعها ببراعة منقطعة النظير .

انه هنا يحطم النظام الاوتوقراطى بعمق وقوة وذكاء حين يكشف لنا عن أن المظاهر هى العجلة التى يدور عليها المجتمع لدرجة أن الذى يستطيع أن يكتب خطابا يعتبر أديبا من الدرجة الأولى ، وأن الحكاية كلها حكاية « جاكتات » وانحناءات ، ورواسب تقليدية .

والفرقة القومية قد نجحت فى تقديم هذه الرواية ترجمة وتمثيلا واخراجا بدرجة معقوله ، لولا بعض الافتعال فى الأداء . وما دامت بلا منهاج فى تقديم المترجمات ، فلا بأس من تقديم أية رواية لبرنادر شو وأمثاله من عمالقة الأدب والفن ، فهى بذلك ستريحنا على الأقل من جعجعة اقزامنا الناشئين .

عبد الفتاح البارودى

مجلة الاذاعة

فى صفحة « عندما يأتى المساء »

فى العدد الصادر يوم السبت ٢٦ نوفمبر ١٩٦٠

اذا كنت من عشاق المسرح ، وتفضل المسرحيات ذات المستوى الفنى الرفيع ، فتعال نقضى الليلة ضيوفا على أفكار الكاتب الايرلندى الساخر ، وزعيم الأدب الانجليزى المعاصر جورج برنادر شو ،

فى مسرحيته « بيوت الأرامل » التى يقدمها المسرح القـومى من اخراج « نور الدمرداش » وترجمة « محمد رضا حسن » .

يحاول برنارد شو فى هذه المسرحية أن يبين أن المال هو كل شيء بالنسبة لأكثر النـاس . فأمامنا الشرير الجشع سارتورياس «حسين رياض» الذى لا يتورع عن ابتزاز أموال الفقراء والمعوزين عن طريق اسكانهم فى بيـوت قذرة متهـدمة نظـير ايجارات كثيرة وأمامنا الارستقراطى النبيل المحافظ الدكتور هنرى ترينش « كمال حسين » الذى يرفض الزواج من حبيبته بلانش « سهير البابلى » عنـدما يكتشف المصدر الدنىء الذى تتجمع منه أموال أبيهـا ، ولكنه لا يتورع بعد ذلك عن الاشتراك مع هـذا الاب فى مشروعاته ليزيد من ثروته هو الآخر ، وأمامنا الفتاة العاشقة بلانش « سهير البـابلى » التى ترفض أن تعيش مع حبيبها عندما تتزوجه فى مستوى مادى أقل من المستوى الذى كانت تعيش فيه مع أبيها الغنى وتتبلور سخرية برناردشو وتتعقد مسرحيته ، ثم تنحل عقدتها حول مبدأ مادى يمكن تلخيصه فى كلمتين هما « عنـدما يتكلم المـال تسكت العـواطف وتنهار الحجج » .

نجح « نور الدمرداش » فى إكساب هذه المسرحية العظيمة الجو الانجليزى ، ولكنه بالغ فى التزام حرفية هذا الجو ، فقد جعـل

الممثلين يبطئون فى الحركة أكثر من اللازم وخاصة عندما تتكرر جلساتهم وتطول حول الموائد ، كما قسم المخرج المسرح الى قسمين ، وركز التمثيل فيهما بالتبادل بحيث لا يقوم باستغلال شمال المسرح اذا كان التمثيل فى يمينه والعكس بالعكس .

وأبطال هذه المسرحيه ينتمون الى مدرستين : المدرسة القديمة التى يبالغ ممثلوها فى الضغط على مخارج الحروف مثل حسين رياض وحسن البارودى ، والمدرسة الحديثة التى ينفعل ممثلوها بطبيعية وبساطة ، وقد تفوق ممثلوها على ممثلى المدرسة القديمة فى تصوير شخصيات المسرحية مثل : كمال حسين وسهير البابلى ، بينما كان سعيد أبو بكر هو الوحيد الذى ظل بعيدا عن المدرستين .

جريدة الجمهورية

فى صفحة « دراسات فى الأدب والنقد »

بقلم

الدكتور محمد مندور

بالعدد الذى ظهر فى يوم الجمعة ٩ ديسمبر ٩٦٠

رواية

بيوت الارامل

مثلت فرقتنا القومية على مسرح محمد فريد مسرحية « بيوت الارامل » تأليف جورج برنارد شو وترجمة الاستاذ محمد رضا حسن ، بعد

أن مثلت لنفس المؤلف العظيم فى العام الماضى مسرحية « تلميذ الشيطان » ، وفى العام الذى سبقه مسرحية « رجل الاقدار » ، وبالرغم من أن مسرحية بيوت الارامل ألفها برنارد شو فى مطلع حياته الأدبية إلا أنه عندما كتبها كان قد استقر نهائيا على الطابع الفنى العام الذى تتميز به مسرحياته بحيث أن كلا منها يقوم على إبراز وتجسيد فكرة من الأفكار الاشتراكية التى كان يدين بها كأحد أنصار ورواد جماعة الفابيين وهم الذين كانوا يؤمنون بضرورة اصلاح المجتمع على أساس من الفلسفة التعاونية الاشتراكية .

وقد سميت هذه المسرحية باسم « بيوت الارامل » لأن أحد أبطالها وهو المستر ساتورياس كان يجمع المال الوفير من تأجيره لمساكن شعبية قذرة على أساس الحجرة ونصف الحجرة لطائفة من فقراء لندن .

وقد سميت هذه المساكن فى أحد تقارير البرلمان الانجليزى باسم « بيوت الارامل » باعتبار أن معظم من يسكنوها من الأفراد الذين ترملوا فأصبحوا يعيشون بمفردهم فى غرفة مستقلة أو فى غرفة مشتركة والأرض التى تقوم عليها هذه المبانى تملكها إحدى الأسر الثرية .

وقد آلت هذه الملكية الى الشاب « هنرى ترينش » الذى تخرج حديثا من احدى كليات الطب . ويلوح أنه كان يجهل من أين يأتيه

المال الذى يعيش عليه لأنه كان يعتمد فى تحصيل هذا المال على وكيل للاعمال ورثه عن أسرته مع ما ورث من ثروة .

ولذلك كان لا يعرف «المستر سارتورياس» ولا ابنته الوحيدة الشابة الرشيقة التى أتمت هى الأخرى دراستها الحاسمة فى احدى كليات الآداب عندما تجمعهم الصدفة فوق احدى بواخر السياحة ، ثم فى فندق واحد بألمانيا حيث يتم التعارف بين الطرفين وتتحدث الفتاه « بلانش » الى الفتى « هنرى » المنكمش المتحفظ .

وتستطيع الفتاة فى النهايه أن توقظ ركوده وأن تنجح فى اغرائه بالزواج منها .

وتفاتح الفتاه أباها بعد أن أحست أن « هنرى » لا يزال متهيبا مفاتحة أبيها رغم وعده بالزواج ، ليفاتح الأب الفتى فى الأمر ويصارحه الفتى برغبته ، ويعلن « سارتورياس » أنه لا يمانع فى هذا الزواج بشرط أن توافق عليه أسرة « هنرى » ويتفق الطرفان على أن يكتب « هنرى » خطابا الى أسرته يعلمها برغبته فى الزواج من ابنة «سارتورياس»، وتوافق الاسرة التى تعرف من هو «سارتورياس» وتشاركه فى جريمة ابتزاز أموال الفقراء ويوشك الزواج أن ينعقد لولا أن مشكلة جديدة تثور فتهدده ، وهى إخبار « بلانش» لخطيبها بأنها ستأخذ من أبيها فى كل شهر مبلغا من المال لكى تضيفه الى دخل

« هنرى » حتى تستطيع أن تعيش مع زوجها فى نفس المستوى المرفه الذى كانت تعيش فيه مع أبيها ، وتأخذ هنرى الذى كان لا يزال بعيدا عن حقائق الاحوال التى تعيش فيها أسرته ، تأخذه العـــزة ويبغض أن يستعين بشيء من أموال سارتورياس بعد أن يعرف من « ليكتشيز » محصل سارتورياس الذى خرج من الخدمة غاضبا من أين يأتى سارتورياس بهذا المال الذى يبتزه من دماء الفقراء ، ويرفض أن ينفق على المساكن القذرة شيئا مما يتقاضاه من المستأجرين

ولكن فتانا المثالى لا تلبث أن تنهار عزته ومثاليته عندما يعلم أنه شريك سارتورياس فى جريمته باعتبار ان ايجار الأرض القائمة عليها المساكن انما يأتيه من المال الذى يجمعه سارتورياس من أولئك الفقراء ، وهكذا يظهر برناردشو كيف أن المال يفسد الضمائر ويحطم العزة ، وتنتهى المسرحية بتخلص الخطيبين على هذا النحو من العقبة الاخيرة التى قامت دون زواجهما .

ومسرحية « بيوت الارامل » اذن من المسرحيات التى تقوم على تجسيد فكرة وإبرازها بل وفكرة من مذهب سياسى واجتماعى معين وهو المذهب الاشتراكى الاصلاحى الذى كان شو ينادى به ، وهى فى هذا المذهب لا تختلف عن مسرحيات شو العظيمة الاخرى بحيث لا نرى وجها لاولئك النقاد الذين يزعمون أن هذه المسرحية

ليست من أقوى مسرحيات شو التى كتبها ، انها من حيث بناؤها الفنى تقوم على نفس المنهج العام لمسرح برنارد شو ، وهو منهج يقوم أساس الفكرة وتنظيم الاحداث على النحو الذى يؤيد هذه الفكرة ويبرزها .

وبرنارد شو كما هو معلوم لا يبدأ قط من واقع الحياة ليكشف حقيقته أو يبرز معناه ، وانما يبدأ دائما من الفكرة ثم يتصور الاحداث التى تصلح وعاء لهذه الفكرة وينميها ويطورها فينتهى بها الى حيث يريد ، ولذلك يبدو فى مسرحه كله دائما شيء من التدبير والاصطناع فى الاحداث وفقا لمقتضيات الفكرة التى يريد ابرازها حتى لنرى النقاد المحافظين فى انجلترا نفسها يتهمونه بانه داعية اجتماعى وسياسى أكثر منه فنانا لا يشغله شيء غير فنه .

فقصص مسرحياته يرتبها دائما على أساس الهدف الذى يرمى اليه حتى ولو كان هذا الترتيب يخالف كثيرا أو قليلا المعقول والمألوف من واقع الحياة .

ومع ذلك فاذا كانت الاحداث فى مسرحيات شو لا تبدو مقنعة بواقعيتها فان الفكرة الاساسية التى تنظم تلك الاحداث وتوجهها تبدو لنا دائما صادقة وحقيقية وموجودة فعلا فى واقع الحياة التى يعالجها شو ولذلك فقد تبدو لنا بعض الاحداث فى مسرحية بيوت

الأرامل غير مقنعة مثل جهل الفتى « هـــنرى » من رفض أى عون مالى يأتى الى خطيبته من أبيها مفتعلا الى حد ما ... وكذلك مناقضة موقفه الأخير لموقفه الأول بمجرد علمه بمشاركة اسرته فى جريمة سارتورياس ، فهو انتقال مفاجىء ومع ذلك فهذا الانتقال المفاجىء غير المقنع هو عصب الفكرة الاساسية فى المسرحية ، وهى فكرة صادقة عميقة وفكرة حقيقية والا فمن يستطيع ان ينكر سطوة المال الباطشة على الضمائر والمثل الخيرة ؟ ومن يستطيع أن ينكر أنه اذا كان بين الطبقة الرأسمالية شبان تتطلع أرواحهم الى المثالية الخيرة ، فان هذا التطلع لا يلبث أن يخبو بمجرد أن تحيلهم الوراثة الى شركاء فى الجرائم الاجتماعية والأخلاقية التى يرتكبها المال ضد البؤساء من البشر ؟ !

ويجمع اساتذة الادب ونقاده فى العالم على أن « برنارد شو » من أعظم رواد المذهب الواقعى . ولكنه من الواجب أن نفطن دائما الى أن واقعيته ليست فى الاحداث ولا فى الشخصيات ، وانما هى واقعية فكرية ، وعبقرية ذهنية ، فالأفكار الأساسية التى تقوم عليها مسرحياته هى التى تعتبر واقعية صحيحة ـــ صميمة ، وهى كما هو واضح واقعية نقدية ساخرة تستهدف بلورة أسباب شقاء الشعوب فى البلاد الرأسمالية فى عدد من الحقائق الفكرية التى يكشف عنها « برنارد شو » ويفضحها بتجسيدها فى أحداث وشخصيات أولا وقبل كل شىء فى الحوار الذى برع فيه براعة فائقة ، ويتميز به على نحو لم يسبقه اليه أحد ، لأنه نابع من شخصية الكاتب الفذة ومزاجه القوى الخاص .

مقـــــــدمة

ولد برناردشو فى دبلن بايرلندا من أصل بروتستنتى فى سنة ١٨٥٦ وعاش فى لندن وهيرتوفورد شاير منذ سنة ١٨٧٦ .

بدأ حياته فى أواخر القرن التاسع عشر كقصصى على طريقة ذلك القرن القديم ـ ثم ذاع صيته كصحافى و ناقد للكتب و للأفلام السينمائية والروايات التمثيلية والاستعراضات الغنائية ، واشتغل فى نفس الوقت كباحث اجتماعى و برّ في ذلك جميع الباحثين الكثيرين من قادة المجتمع فى العالم ، و أنشأ مدرسة جديدة للفلسفة والكتابة الساخرة والنقد اللاذع وأصبحت الصحف تتلهف على المقالات التى يكتبها والنقد الذى يدبجه حتى لقد بلغ أجره ثلاثة شلنات عن كل كلمة يكتبها وفى سنة ١٨٩٢ اتجه ناحية أخرى فى الكتابة حيث بدأ يكتب المسرحيات و يؤلف القصص والروايات التمثيلية ، وبعد أثنتى عشرة سنة أخرى أصبحت تمثيلياته تهز المجتمعات وصار لها صدى قوى فى الرأى العام ، يثير الاحاديث و يقيم الحكومات و يقعدها ، وضمت مخلفاته مجموعة ضخمة من الأدب الانجليزى المعبّر ، والنماذج البارعة من التعبيرات اللغوية السهلة الممتعة و من الصفحات الفلسفية والتواريخ البيولوجية مما جعلت له أثرا خالدا لا فى الأدب الانجليزى وحده ، ولكن فى الأدب العالمى أجمع .

اشخاص الرواية

دكتور هنرى تريتش : الفتى الأول (جون بريسير) شاب جميل وسيم الطلعة فى الرابعة والعشرين من عمره - حديث التخرج ، يشتغل بالطب ومعالجة الامراض الباطنية — من أسرة أغلب أفرادها من النبلاء الذين يحملون ألقابا مرموقة — مهذب الطبع حلو الحديث ولكنه على الفطرة — صادق ، صريح ، لا يعرف المكر ولا يتقن الحيلة والدهاء .

بلانش : الفتاة الاولى (بريمادونا) فتاة رائعة الحسن ، فاتنة الجمال ، رشيقة القد معتدلة القوام ، بديعة المظهر ، متقنة الثياب - هى كريمة المستر سارتورياس ووحيدته .. مثقفة مهذبة — حصلت على درجه البكالوريوس ثم الماجستير فى الآداب وهى بعد فى العشرين من عمرها .. لماحة الذكاء واسعة الاطلاع ولكنها حادة الطبع عصبية المزاج ، عاطفية التفكير ، تعشق الأدب والخيال وتقرض الشعر وتؤلف الكتب .. اقتنى لها والدها أعظم مكتبة ، ونظم لها رحلات الى جميع أنحاء القارة الأوربية لتوسيع مداركها وإفساح أفقها .

مستر وليم كوكين : كان يدير أعمال والد الدكتور هنرى تريتش قبل وفاته ، ولذلك فقد عرف هارى وصادقه منذ نعومة أظفاره ..

فى الاربعين من عمره ـ ضعيف البنية ـ أصلع الشعر ، على جانب كبير من المكر والدهاء ـ سليط اللسان، يحب المجتمعات و يميل الى الرسميات ـ يتقن أعمال التجارة و المراسلات .

مستر سارتورياس : والد بلانش ـ توفيت زوجته ولم تشب ابنته عن الطوق ، ولذلك فقد عاش مع ابنته وحدها و تفانى فى حبها وكرس ماله وجهده لتربيتها و تعليمها والعمل على اسعادها ـ اختار لها أصدقاءها بنفسه .. صحبها فى جميع رحلاتها رغبة فى ادخال السرور على نفسها و توسيع ثقافتها ـ فى الخمسين من عمره وجيه المظهر فاخر الثياب ـ نشأ من أسرة فقيرة متوسطة الحال .. اشتغل بالتجارة و باستغلال المساكن القـذرة الرخيصة فى الأحياء الشعبية و تأجيرها للفقراء بالجملة بالحجرة، نصف الحجرة وربع الحجرة و بالأنصبة المختلفة ، وسرعان ما اقتنى ثروة كبيرة جدا من هذا الاستغلال .

كان ينفق ثروته كلها على تربية إبنته وتوفير السعادة لها ، وتزويدها بما يعود على ثقافتها بالفائدة .

الوصيفة : فتاة طيبه فى الثلاثين من عمرها ـ اختارها المستر سارتورياس لتربية ابنته ولكنها كانت تلاقى الكثير من دلالها وعصبيتها .

مستر ليكتشيز : فى الخامسة والخمسين من عمره من أسرة متواضعة فقيرة ، كان يشتغل عاملا فى منجم فحم ثم قفل المنجم فاشتغل محصلا لأملاك المستر سارتورياس ـ ثم ثار عندما طرده المستر سارتويارس من خدمته فاستفاد من ذلك باتباع نفس الطريق الذى كان يخدم فيه واستفاد من معاملاته و اختلاطه بالأسواق .

الفصـــل الأول

(المنظر)

فى حديقة مطعم فندق ريماجن على نهر الراين ، وفى أمسـية يوم من شهر أغسطس سنة ١٨٨٨ فى أدنى نهر الراين بالقرب من مدينة بون حيث يقع الفندق المذكور و تؤدى بوابةالحديقة الخاصة بالمطعم إلى ضفة النهر اليمنى ، ويقـع الفندق إلى يساره ... وللحديقة ملحـق خشبي به مناضد جميلة للضيوف ... يقف الخادم منتظـرا فى ثيـاب نظيفـــة .

يخرج اثنان من السائحين الانجليز من الفندق، أصغرهما الدكتور هارى ترنش فى الرابعة والعشرين من عمره متين البناء أسود الشـعر غليظ العنق جميل المحيا سريع الحركات كطلبة كليات الطب ، صـريح متسرع ، والثانى مستر ولـيم كوكين فى الاربعين من عمـره ضعيف البنية نحيف الجسم أصلع الشعر حاد البصر بطيء الحركة .

كوكين : أحضر الزجاجتين من البيرة هنا .

« يسرع الخادم لاحضار البيرة ويدخل كوكين الى الحديقة »

لقد حجزنا حجرة فى أحسن مكان فى الفندق حيث نطل على منظر

بديع ... احمد لله على ذكائى ، ولكننا سنغادر الفندق غدا ، حيث نزور «مترو فرانكفورت» ... يوجد تمثال جميل فى بيت أحدالنبلاء فى فرانكفورت ، كما توجد حديقة رائعة للحيوانات وفى اليوم التالى علينا أن نزور « نورمبرج » ففيها أعظم مجموعه للآلات الميكانيكية .

ترنش : حسنا ولكن عليك أن تراقب مواعيد القطارات ، أتسمح بذلك ؟

«يخرج خريطة للطرق الحديدية فىقارة أوربا ويبسطها على المائدة ويشير إلى كوكين ليدعوه إلى الجلوس »

كوكين : يا الهى ما أقذر هذه الكراسى ... انها مغطاة بالتراب

« ينفخ التراب من على الكرسى قبل أن يجلس عليه »

ما أقذر هؤلاء الأجانب .

« يجلس »

ترنش : « يهز كتفيه »

لايهم ، متع نفسك ولا تهتم بهذه الصغائر .

« يخرج غليونه ويغنى أغنية نهر الراين »

اجـر يا نهر الرين وغـنى ✡ وصب ماءك الصافى الأصيل

ان ماءك يشبه الخمر لعيني ✡ وهو صاف كأنه الراح الجميل

كوكين : بحق العدالة ياهارى... تذكر أنك رجل (جنتلمان) ولا تغنى هكذا مثل الخنازير ... أنك ياأخى طبيب ولست متشردا ، اننا هنا فى دار غريبة ولسنا فى شوارع لندن ، فاما أن تسافر معى (كجنتلمان) أو أتركك تسافر وحدك ، أننا فى انجلترا نفعل ما نشاء ، أما فى بلاد الغربة فيجب أن نأخذ مظهر الوقار أننى كنت مضطربا هذا المساء كله خشية أن يعرفنا أحد فى بون ونحن نسير بهذا الاستهتار ، أنظر الى مظهرنا المضحك الذى كنا نبدو به على ظهر الباخرة .

ترنش : ماذا فى مظهرنا ياصديق ؟

كوكين : اهمال يا بنى ... كنا فى غاية الاهمال على الباخرة ... أما هنا فى الفندق فلا يجب أن نظهر على مائدة الطعام الا بالملبس الكامل ... أنه ليس لديك الا جاكتة واحدة مصنوعة من صوف نورفلك ، لقد عرفك الناس بها ، فأنت لاتلبس سواها ، كيف تريد أن يعرف الناس انك من أصل عريق وانت لاتملك الا جاكتة واحدة ؟

ترنش : صه ياصديق ، أن ركاب الباخرة كانوا من زبالة الناس على وجه الأرض ... استراليين وفرنسيين وأمريكان وجميع الملل والاشكال فليشنقوا أنفسهم ان شاءوا وأنا لا أهتم بهم (يشعل عودا من الكبريت ويقربه من غليونه)

وما رأيك يا بيلى؟

كوكين أعمل معروفا... اترك كلمة بيلى هذه ... تسمنى بيلى أمام الناس ، أن إسمى كوكين أما عن رأيى فقد كان بين الركاب بعض ذوى الشخصيات البارزة ، وأنت نفسك كنت مأخوذا بمظهر الأب البار ٠

ترنش : آه أتقصد تلك الفتاة الفاتنة التى كانت مع أبيها ؟ أنها بنت رائعة ، ووالدها على جانب كبير من عظمة المظهر ...

كوكين : وما رأيك ياهارى أننى هنا وفى هذا الفندق نفسه رأيت المظلة التى كان يستعملها والدها موضوعة فى ردهة الفندق .

ترنش : أظن أنه كان يجب أن أحضر نقودا فضية صغيرة معى لنقل هذه الأمتعة الصغيرة ودفع القيمة للحمالين ...

« يقوم ناهضا »

على أى حال يجب أن نذهب لنغير ملابسنا ونستحم لنزيل تراب السفر .

« يقف متجها نحو الباب ويهم بالخروج فيرى أشخاصا قادمين »

أوه ... أنهم هنا قادمون ...

« تدخل فتاة وخلفها سيد وجيه المظهر يتبعها عامل يحمل طرودا صغيرة لاتعتبر أمتعه وانما تعتبر مشتريات من الحوانيت ... يدخلان

الحديقة ... يظهر من مظهرهما أنهما والد وابنته ... والسيد فى الخمسين من عمره طويل القامة وقور الطلعة يمشى فى تؤدة ويتخذ اسلوبا ارستقراطيا فى حركاته ومشيته — حليق الذقن والشارب ، يلبس جاكتته فراك ، وقبعه بيضاء ويحمل منظارا مكبرا فى رقبته . . يأمر وينهى فى خدم الفندق أما ابنته فهى جميله المحيا ساحرة الطرف ، قوية البنية، فيها أنوثة كاملة، ولكنها تسير خلف والدها بخشوع وتواضع،

كوكين : (يلمس ذراع ترنش بسرعة ليغمزه) .

أضبط أعصابك يا هارى وكن عاقلا .

(يمشيان معا فى حديقة الفندق . يدخل الخادم حاملا زجاجات البيرة) .

كانر ... ها هى مائدتنا .

الخادم : نعم يا سيدى انى تحت أمرك .

السيد : (للحال ضع الاشياء التى معك على هذه المائدة) ،

الخادم : هذه المائدة هى للسيدين .

السيد : (بحـدة) .

كان يجب أن تقول لى ذلك من أول وهلة .

(ملتفتا الى كوكين)

المعذرة يا سيدى على هذه الغلطة .

كوكين : عفوا يا سيدى العزيز ، احتفظ بالمائدة . أنها لك .

السيد : (ينظر الى كوكين ببرود ويوليه ظهره) .

أشكرك .

(للحمال) ضع هذه الأشياء على المائدة .

(يعطى الحمال قطعة فضية من النقود ويشير للخادم)

احضر شايا لاثنين .

الخادم . حالا يا سيدى ، يدخل الى الفندق .

كوكين : ان البيرة فى انتظارك يا صديقى ترنش .

ترنش : شكرا يا كوكين .

كوكين : على فكرة يا هارى ... كثيرا ما ترددت أن أسألك عن صاحبة الفخامة الليدى روكس ديل هل هى شقيقه والدك أم شقيقة والدتك ؟

(تلاقى هذه الملاحظة اهتماما شديدا عند السيد الوجيه المظهر ... فهو ينصت بشدة ويتتبع الحديث باهتمام)

ترنش : انها شقيقة والدتى طبعا وما الذى جعل هذه الفكرة تطرأ على بالك الآن ؟

كوكين : لا شيء إنها مجرد الرغبة فى المعرفة ...أظنها تتوقع منك أن تتزوج سريعا يا هارى .

ان طبيبا ناجحا مثلك لا بد أن يؤسس بيت الزوجية السعيد .. أليس كذلك ؟

ترنش : وما علاقة الليدى بذلك ؟

كوكين : ان لها علاقة كبيرة بالموضوع ... فانها ستقوم بتقديم العروس زوجتك المقبلة الى أرقى الطبقات فى مجتمعات لندن

ترنش : يالها من فكرة، ولكننى لا اهتم لا بالمجتمعات ولا بالطبقات الراقية !!

كوكين : انك لا تزال شابا غريرا ايها الطفل العزيز ، انك لا تدرك بعد اهمية تلك المجتمعات وروادها من الطبقات الرفيعة، ويبدو لك الامر على انه مظاهر تافهة وعربات وحفلات وملابس ومظاهر جوفاء من قوم متعجرفين ... ولكن الامر غير ذلك فى واقعه وحقيقته

« يدخل الخادم ومعه الشاى واوانيه ومستلزماته ويضعه على مائدة السيد .. ينهض كوكين ويوجه الحديث نحو السيد »

سيدى العزيز ... ارجو ان تصفح عن توجيه الحديث اليك ،

ولكنى اشعر فى قرارة نفسى ان سيادتك تفضل المائدة التى نجلس عليها وربما يكون فى وجودنا ما يضايقك .

السيد : (بتحفظ)

اشكرك كثيرا . . بلانش .. انهذا السيد يعرض علينا مائدته فهل تفضلين الانتقال اليها

بلانش : لا ... شكرا ... أنه لا فرق هناك بين المائدتين .

السيد : (الى كوكين).

اننا كنا رفقاء فى السفر على ما اعتقد يا سيدى ؟

كوكين : رفقاء فى السفر وزملاء فى الوطن ... أن الانسان لا يشعر بحلاوة الوطنية ، وجمال لغة الوطن الا عندما تظله سماء أوطان أخرى ، وتحف آذانه لهجات منكرة لا يعرف عنها شيئا بعد أن يغادر بلاده . لا شك أن سيادتك لاحظت ذلك .

السيد : هذا صحيح من جهة العاطفية .. ولكن اذا واجهت الحقائق نجد أن الانسان يجب أن يسمع لغة أخرى غير اللغة الانجليزية حتى يشعر أنه فى رحلة وأنه خارج بلاده .

(ينظر الى ترنش)

أظن هذا السيد أيضا كان معنا فى نفس الرحلة ؟

كوكين : (منتهزا الفرصة) .

آه هذا هو صديقى رفيع الشأن الدكتور ترنش .

(يقف ترنش ، فيقف السيد فيقدم اليه يده مصافحا) .

السيد : اسمـــح لى أن أصافحك يا دكتور ترنش ... ان اسمى سارتورياس وأن لى الشرف أن أكون معروفا الى السيدة خالتك « الليدى روكس ديل » بلانش ابنتى العزيزة ــ أقدم لك الدكتور ترنش ... ...

(ينحنيـان) .

ترنش : ربما يكون قد جاء دورى لأن أقدم لـكم صديقى كوكين مستر سارتورياس ــ هذا هو مستر وليم دى برغ كوكين من خيرة رجال الاعمال والمجتمعات .

(ينحنى كوكين فينحنى له مستر سارتورياس بكبرياء)

سارتورياس : (للخـادم)

احضر قدحين آخرين من الشاى .

(يعود الخادم بالشاى من المائدة المجاورة)

بلانش : هل تفضل قطعة واحدة أم قطعتين من السكر ؟

كوكين : شكرا لهذا الكرم... قطعة واحدة من فضلك...احضر كرسيك وتعال قريبا منا يا هارى .

سارتورياس : أهلا بيك تعال الى جانبى .

كوكين : هل تنويان الاقامة هنا يا مستر سارتورياس ؟

بلانش : اننا نفكر فى الذهاب الى « رولاندسك » انها مكان جميل مثل هذا المكان .

كوكين : هارى ... أرنا الخريطة التى معك .

(يخرج ترنش الخريطة من جيبه ويبحث فى الفهرس عن كلمة « رولاندسك » .

بلانش : أتريد قطعة من السكر يا دكتور ترنش ؟

ترنش : نعم ... مع الف شكر .

(تسلم اليه قدحا من الشاى ... وتنظر اليه نظرة ذات مغزى)

(يخفض من بصره وينظر الى سارتورياس الذى يقدم له شريحة من الخبز مغطاة بالزبد) .

كوكين : رولاندسك .. يبدو انها مكان ممتع للغاية .

(يقـرأ) .

انها من اجمل البقاع المعروفة على نهر الراين. وهى محاطة بعدد كبير من « الفيلات » والحدائق الناضرة التى يمتلكها الاثرياء من التجار فى حوض نهر الراين الأدنى وتمتد على طول المنحدرات المغطاة بالغابات خلف تلك القرية.

بلانش : يظهر انها بلدة متمدينة ومريحة فى الاقامة . انى اقترح زيارتها .

سارتورياس : أنها تشبه مصيفنا فى ساربيستون يا عزيزتى .

بلانش : نعم ... انها تشبهها تماما .

كوكين : هل لكم ممتلكات عند النهر فى انجلترا ؟ انى أحسدكم

سارتورياس : لا... ان لنا « فيلا » مفروشة فقط فى ساربيتون نقضى فيها الصيف . اما انا فأقيم فى ميدان بدفورد فى لندن . انى رجل عصامى . واحب ان اقيم الى جوار مركز اعمالى فى المدينة .

بلانش : هل اعطيك قدحا آخر من الشاى يا مستر كوكين ؟

كوكين : لا . شكرا جزيلا

(ملتفتا الى سارتورياس)

اظنك قد حضرت الى هنا لترى كنيسة ابولونارس .

سارتورياس : كنيسة ايه ؟

كوكين : الأبولونارس

سارتورياس : الأبولونارس ؟ انه لأمم عجيب !! كيف يسمون الكنيسة باسم كهذا الاسم ؟

كوكين : انه اسم أوربي على أحدث طراز ... والمسألة مسألة ذوق ليس الا ... والأمر كله أن الكنيسة مسماه بأسم النهر المجاور لها وكان يجب أن يسمى النهر باسم الكنيسة المجاورة له .

سارتورياس : انى مسرور أن أسمع منك هذا التعليق ، ولكن هل هذه الكنيسة كنيسة ممتازة ؟

كوكين : أن صديق بيديكار يضعها فى أعلى الصفوف .

سارتورياس : اذا كان الأمر كذلك فانى أحب أن أشاهدها

كوكين : (يقـــرأ)

وقد شيدها فى سنة ١٨٣٩ زرينز المهندس المعمارى الذى سبق أن شيد كاتدرائية كولونيا على نفقة الكونت قوستار بورج ستام هيم .

سارتورياس : (بتأثر شديد)

يتحتم علينا أن نرى هذا الأثر الخالد يامستر كوكين ... انه لم تكن لدى أية فكرة أن المهندس المعمارى الذى أقام كاتدرائية كولونيا له مثل هذه الآثار الحديثة .

بلانش : لا تضايقنا بمثل هذه الكنائس ياوالدى ... انها كلها متشابهة ... لقد ضقت ذرعا بها جميعها ...

سارتورياس : حسنا ياعزيزتى ... اذا كنت تظنين أننا نقوم بمثل هذه الرحلة الطويلة المدى الباهظة النفقة بغير أن نرى هذه الآثار الخالدة فانى أتركك لرأيك .

بلانش : نعم ولكن ليس هذا اليوم يا بابا من فضلك .

سارتورياس : ياعزيزتى ... أننى أحب أن ترين كل شيء وكل مكان .. إن ذلك جزء كبير من ثقافتك وميدان واسع لتنمية معلوماتك .

بلانش : تنهض وهى تتنهد بحسرة ... أوه ... معلوماتى و ثقافتى ... أظن أنه يجب أن أذهب ... هل تحضر معنا يادكتور تريتش ؟ أظنها ستكون تجربة قاسية لك !.

كوكين : (يضحك ضحكة خفيفة)
ليس كل الناس يحبون الكنائس .

سارتورياس : (ينهض واقفا ويحمل منظار الميدان فى يده وهو يمشى) نعم يامستر كوكين ... ان شر البلية ما يضحك .

كوكين (يصحبه فى سيره)

صدقت يامستر سارتورياس ... صدقت فيما تقول .

« يخرجان معا وهما يتحدثان بصوت مرتفع... بلانش لاتبدى أى حركة أو رغبة فى أن تتبعهما .. تنتظر حتى يخرجان بأمان ويغيبان عن النظر ثم تقف و تتقدم حتى تلتصق بتريفش و تنظر اليه مبتهجة مسرورة فيبتسم لها و يقبض على كلتى يديها »

بلانش : حسنا لقد فعلتها و انطلت الحيلة .

تريفش : نعم لقد فعلها كوكين ، ألم أقل لك ونحن فى الباخرة أن كوكين لن يعدم وسيلة للاتصال بأبيك ... أنه عفريت من الجن يخلق الوسائل للاتصال بالناس خلق وله ذكاء لماح .

بلانش « باحتقار »

ذكاء ؟ أتسمى هذا ذكاء ؟ أنه فضول وصفاقه ... أن الفضوليين قوم لهم خبرة ومران فى التدخل فى المناقشة والتحدث الى من يعرفونهم ومن لا يعرفونهم، ولماذا لم تكلم أنت أبى بنفسك ونحن على الباخرة ؟ انك كلمتنى بغير معرفة واتصلت بى بدون مقدمات وتحدثت معى ولم يقدمك الى أحد .

تريفش : أننى لم أقصد أن أتصل به شخصيا .

بلانش : أنك لم تفكر فى ذلك على ما أظن ، وهذا ما كان يحرجنى معه لو أنه رآك معى على الباخرة .

تريلش : حقا انني لم أفكر فى ذلك وليس والدك بالرجل البسيط الذى يمكن الاتصال به بسهولة ، ولكنني بعد أن عرفته الآن طبعا ، أصبحت أرى فيه رجلا ظريفا ومحدثا رائعا ... وقد ندمت لأنني لم أعرفه قبل ذلك بزمن طويل .

بلانش : العجيب أن كل انسان أعرفه يخاف من أبى ويهابه ... وأنا متأكدة من أنه ليس هناك من سبب يدعو الى ذلك .

تريلش : « يزيد من اقترابه منها ويضع ذراعه حولها ويقول برقة وحنان » ومع ذلك فان كل شيء على ما يرام الآن .. أليس كذلك ؟

بلانش « مبتسمة »

لا أدرى ... وكيف يمكن أن أدرى ؟ انك لم تكن محتما فى حديثك معى فى تلك الليلة على ظهر الباخرة .. لقد ظننت أننى وحيدة لأن أمى لم تكن معى ... لقد طارحتنى هواك وغبت معى عن العالم فى لحظات طويلة .

تريلش : إن من يسمع هـذا الكلام يظن أننى قد اغتصبتك اغتصابا واعتديت عليك اعتداء ... وسطوت على جمالك بغير رحمة أو هوادة ... أو اننى انتهزت فرصة ضعفك ... ما أقساكن يا بنات حواء ؟ ألا تعلمين أنك كنت البادئة بالكلام ، وأنك أنت التى نصبت

شراك الفتنة حولى فوقعت فى فخ هواك ... لقد جذبت الى الحديث اليك جذبا ، وأخذت فى سحر الموقف معك أخذا ، وقدمت قلبى اليك بلا ثمن ، وشعرت بنفسى وأنا أضمك الى صدرى ... ألا تذكرين تلك الليلة يا بلانش ؟

بلانش : نعم كنت مخطئة مثلك... ولكن الوحدة وسحر الليل ونور القمر وصوت الأمواج الناعمة كان يهز نفسى فأحسست أن الدنيا قد خلت من كل شيء الا من وجودك الى جانبى .

« تنظر اليه بخبث ودهاء »

أليس كذلك ياهارى ؟

ترينش : « بحيرة وارتباك »

أظن ذلك يابلانش ، وأنا لست نادما مثلك ، لأننى أحبك حقيقة واهواك من كل قلبى .

بلانش : ماذا ترى فى زيارتنا لكنيسة الابولونارس ؟

ترنش : « متضاحكا »

لا تحولى مجرى الحديث

بلانش : كفى ياترنش ... دع هذا الحديث الآن

ترنش : « مذعورا »

يا الهى هل جرحت شعورك ؟ اصفحى عنى ان كنت قد تركت العنان لشعورى او اسأت التعبير عما يدور فى قلبى و يختلج به فؤادى فالحقيقة انه ينقصنى الذكاء ، ولا اعرف فى حياتى الالتواء .

بلانش : اننى اخشى ان اكون فى حـلم فاستيقظ منه و يضيع الحب من بين يدى هباء ... اننى لا اريد منك ذكاء ولكننى اريد قلبا مخلصا .. ومن لى سواك ياترنش لاحبه او اشغل فؤادى به ؟ انك قد عبرت عن هواك احسن تعبير .. انك ملء قلبى واعينى ولا اريد من الدنيا خيرا من الاخلاص .

ترنش : ان كوكين اكثر منى ذكاء ولكنه . . .

بلانش : مقاطعة ... لا تذكر كوكين امامى

ترنش : ولماذا ؟

بلانش : اخشى ان تذكره فيحضر هو ووالدى و يقطعان علينا صفو هذا اللقاء الجميل

ترنش : اذن انت تحبيننى يابلانش ؟

بلانش : انك حقيقه لست ذكيا ... كيف لا احبك ولا أمل لى فى الدنيا سواك ؟

ترنش : ومن اى شيء تخافين ؟

بلانش : اخاف الامل الكاذب والسراب الخادع ... لقد وهبتنى الدنيا اعظم امل كنت احلم به ... فلو اننى سلبت هذا الحلم فيما بعد لانقضت حياتى فى لحظة واحدة .

ترنش : « متلعثما فى الكلام »

كنت افكر ياعزيزتى بلانش .. كنت افكر .. كنت افكر فى ..

بلانش . ماذا تريد ان تقول ؟

ترنش : لا استطيع ان اقول اكثر مما قلت

بلانش : « تنظر اليه فى حنان وعطف وتستسلم له »

قل لى ما تريد ... فأنا بين يديك .. وقد لا تسنح لنا لحظة اخرى مثل هذه اللحظة .

ترنش : اريد ان اقول لك هذه

« يهوى على فمها ويقبلها قبلة طويلة جدا وهى فى نشوة ورضاء لا تبدى حراكا »

بلانش : ولكن قل لى ياهارى ......

ترنش : نعم

بلانش : ماذا كنت تريد أن تقول ولم تتم عبارتك ؟ متى

نتزوج ياهارى ؟

ترنش : وقت ما تريدين . وليكن عند زيارتنا لأول كنيسة تقابلنا . ولتكن كنيسة الابولو نارس ،

بلانش : أظن أنك تمزح يا ترنش .

ترنش : أنني أتكلم جديا .

(ينظر فجأة تجاه النهر نحو بوابة الفندق ويتركها بسرعة ويدفعها بعيدا عنه قليلا) هش . ها هما قد عادا ثانية .

بلانش : هل عادا بمثل هذه السرعة ؟

تضيع كلماتها وسط دقات الناقوس التى يدقها خادم الفندق لدعوة الناس الى العشاء) .

(يظهر كوكين وسارتورياس عائدين من بداية الباب)

الخادم : ستعد مائدة العشاء بعد عشر دقائق أيها السادة وايتها السيدات .

سارتورياس (بحدة)

لقد كنت أقصد أن تحضرى معنا يا بلانش ... لماذا تخلفت عنا؟

بلانش : نعم يا والدى . لقد كنت على وشك أن الحق بك

ولكنك أسرعت بالعودة .

سارتورياس : اننا نريد ازالة التراب قبل موعد العشاء . تعالى معى يا ابنتى الى الحجرة .

(يقدم ذراعه اليها وهو متجهم الوجه. تضع بلانش ذراعها فى ذراعه وتسير معه صامتة) .

كوكين : (بعتاب) .

لا ... لا يا ولدى العزيز . اننى أخجل من أجلك !! اننى لم أشعر فى حياتى بمثل ما أشعر به اليوم . لقد رأيناك والفتاة بين أحضانك . كيف تنتهز فرصة وحدتها وبعد والدها عنها لتفعل ذلك !؟

ترنش : (بغضب) .

أسكت يا كوكين

كوكين : (متضايقا) .

ان والدها رجل نبيل الأخلاق ؛ بل هو جنتلمان بمعنى الكلمة ، ولولا ذلك لما سكت عن هذا العمل ، لقد كان لى شرف معرفته وتقديمك اليه ، لقد جعلته يعتقد أنك من أصل رفيع ولذلك ترك ابنته فى رعايتك وهو واثق كل الثقة فى شخصك . فماذا رأينا عند

عند عودتنا ؟ لقد رأينا هذا المنظر الفاضح. لا. لا ياصديقى هارى انها قلة ذوق منك !!

ترنش : كلام فارغ !! انه أمر عادى . انه لم يحدث أى شىء .

كوكين : لم يحدث أى شىء؟ فتاة كاملة وشابة جميلة هيفاء نراها فعلا بين احضانك ثم تقول أنه لم يحدث أى شىء؟ ألم تر خادم الفندق وهو يدق الجرس ويلفت نظرك الى وجوده ؟ أليست لديك أية مبادىء من الاخلاق يا ترنش ؟ أليست لديك آثار من الفضيله ؟ ألا يمكن ان ترعى حرمة المجتمع الذى نعيش فيه ؟ انك كنت تقبلها بجنون !!

ترنش : لا تكذب ايها الأبلة . انك لم ترنى وأنا أقبلها .

كوكين : اننا لم نرك فقط تقبلها ، ولكننا سمعنا رنين القبلات وكان صدى هذا الرنين يهز نهر الرين بأكمله .

ترنش : قول هراء يا عزيزى بلى .

كوكين : ها أنت مرة أخرى تسمينى بهذا الاسم السخيف ياسيدى !! ان إسمى وليم ... وليم دى برغ كوكين .

ترنش : لاتهتم يابنى ... فبيلى مثل وليم ووليم مثل بيلى ... انك تتصدى لكل الأمور التافهة ... أن هذا الاسم يناسبنى ويروق لى أن أناديك به ... فما شأنك أنت بهذا ؟

كوكين : « بحزن »

المصيبة أنه ليس لديك ذوق ولا شعور ولا مهارة بأى نوع من أنواعها — لا ياسيدى ، أنا لا أحب أن تذكر هذا الاسم لا لى ولا لأى فرد فى الدنيا ، اننى آسف أن أقول أمام الناس أنك رجل جنتلمان

« يظهر سارتورياس على عتبة الفندق »

ها هو صديق سارتورياس ... لاشك أنه سيسألك تفسيرا عن سلوكك نحو ابنته ، ولن أدهش اذا هو أحضر كرباجا وهوى به على وجهك ، بل لن أتدخل للدفاع عنك اذا رأيت هذا المنظر المحزن .

ترنش : اياك أن تذهب أيها الرجل اللعين ... انى لا أريد أن أقابله وحدى الآن .

كوكين : يهز رأسه ... الذوق ياسيد هارى ... الذوق ـ حسن التصرف أيها الانسان .

« يتركه ويخرج ترنش هاربا الى الناحية الأخرى من الحديقة »

سارتورياس : دكتور ترنش .

ترنش : « يتوقف عن السير ويلتفت نحوه »

أهذا أنت يامستر سارتورياس ؟ كيف وجدت الكنائس التى

كنت فى زيارتها ؟

سارتورياس : « بغير أن يجيب عليه يشير الى كرسى بجواره »

أظنك كنت تتحدث الى ابنتى يادكتور ترنش ؟

ترنش : « محاولا أن يهدىء من روعه »

نعم كنا فى مناقشة ، مجرد حديث فى الواقع فى أثناء غيابك فى الكنيسة مع كوكين ، كيف وجدت كوكين كرفيق للرحلات يامستر سارتورياس ؟ أننى أظن أنه رجل واسع الحيلة بشكل عجيب ؟

سارتورياس : « متجاهلا حديثه »

كنت أتحدث منذ لحظة مع ابنتى يادكتور ترنش ووجدتها واقعة تحت تأثير شيء حدث بينكما وأرى أن واجبى كوالد وبصفتى الراعى الوحيد لها منذ فقدت امها ... أن أسالك فورا عن الحقيقة ، ربما تكون ابنتى قد اتخذت الأمر جديا واعتقدت ...

ترنش : ولكن ياسيدى اذا ..

سارتورياس : (مقاطعا) لحظة واحدة من فضلك اذا سمحت . انا نفسى كنت شابا صغيرا من قبلك . اصغر كثيرا مما تظن فى المظهر وفى الشخصية . فاذا لم تكن يا بنى جادا فى وعدك الذى .....

ترنش (متحمسا)

ولكنني ياسيدى جادجدا وأعنى كل حرف قلته لها .. ومتمسك بالوعد الذى أعطيته اياها انى أريدالزواج من إبنتك يامستر سارتورياس ... وأرجو ألا يكون لديك مانع من ذلك .

سارتورياس : (مغتبطا ولكنه يكتم عواطفه)

حتى الان ليس لدى أى مانع ويحق لى أن أقول أن هذا يبدو عملا شريفا وصريحا من جهتك وهو يسرنى ويشرفنى شخصيا .

ترنش : (مندهشــــا)

اذا دعنا نعتبر أن الامر أصبح منتهيا .. إن هذا فضل كبير منك.

سارتورياس : مهلا يادكتور ترنش .. مهلا .. مثل هذه الامور الخطيرة لا يمكن أن تعتبر منتهية فى مثل هذه السهولة بين شخصين .

ترنش : أنا أعرف ذلك .. فهنـاك اجراءات كثـيرة طبعـا ، ولكننى أقصد أنها تعتبر منتهية بالنسبة لنا أليس كذلك ؟

سارتورياس : آه ، ولكن الا توجد أقوال اخرى ؟

ترنش : لا أقوال عندى الا انى أحب بلانش من كل قلبى ...

سارتورياس : أقصدأقوالا تقولها لأسرتك مثلا؟ أنك لاتتوقع معارضتهم فىأمر الخطوبة ، أليس كذلك ؟

ترنش : لا أظن ان للعائلة أية علاقة بالموضوع .

سارتورياس : ﴿ بحرارة ﴾
لا .. عفوا ياسيدى .. أن علاقة الاسرة بالزواج كبيرة جدا ، أننى مصمم على ان ابنتى لا تدخل فى دائرة أسرة لا تقابل منها بالترحيب .. والتقدير الكامل من كل فرد من أفرادها .

ترنش : ﴿ مرتبكا ﴾
بالطبع هذا لا يمكن أن يحدث .. وما الذى يدعوك الى النطق بأن أسرتى سوف لا تقابل بلانش العزيزة بكل ترحيب ؟ لاشك أن الاسرة ستقابلها بكل حفاوة من أجلى .

سارتورياس : ان هذا الكلام وحده لا يكفينى ياسيدى .. ان العائلات كثيرة التحفظ نحو كل قادم جديد يأتى اليها .. بل انهم يعتبرون الجديد عليهم ليست له الكفاية لأن يكون مثلهم .

ترنش : ولكنى أؤكد لك أن أهلى ليسوا من هذا الصنف ... وأنهم سيرحبون ببلانش .. وهى سيدة مهذبة راقية .

سارتورياس : ﴿ وقد هزه هذا الاطراء ﴾
شكرا ياولدى .. اننى مسرور لأنك تعتقد فيها هذا الاعتقاد ﴿ يقدم يده الى ترنش ، فيمد ترنش يده اليه مصافحا ، ويضغط

سار توريا س على يده ثم يترك يده مرة أخرى)

أنا أعتقد فيها نفس هـذا الاعتقـاد يادكتور ترنش ، والآن وقـد تصرفت معنا هذا التصرف الرائع فانى أمنحك موافقتى شخصيا . . ومن جهة المال فلن تكون أمامك أية صعوبة ، انى سأمنحك من المال ما يجعلكما تستمتعان بالحياة وتنعمان بمعيشة زوجية رغدة وهانئة جداً . . سوف أوفر لكما كل ذلك ، وكل ما أرجوه منك هو ضمان بان ابنتي ستقابل بحفاوة من اسرتك وستعامل من أفرادها معاملة عادلة .

ترنش : لك هـــذا الضمان .

سارتوريا س : نعم ولكى يكون لى هذا الضمان أرجو منك أن تكتب الى اقاربك لتشرح لهم ما اعتزمت عليه وتبلغ اليهم نبأ خطوبتك وتضيف من عندك بعض ما تظنه مناسبا فى حق ابنتى وفى انها اهل لأن تدخل ارقى المجتمعات . وفى اليـوم الذى تستطيع فيـه ان تعرض على بعض الردود من الأعضـاء البارزين فى اسرتك يهنئون بالزواج ويباركون لك الخطوبة فى مثـل هذا اليـوم ينشرح صدرى ويبتهج قلبي وتكون موافقتى نهائية .

ترنش : (مرتبكا) .

حقا حقا ، وشكرا لك ... وما دامت هذه رغبتك فاننى سوف اكتب إلى اسرتى واؤكد لك منذ الآن بأنهم سيقابلون النبأ بكل

سرور وترحيب . وسأطلب منهم ان يكتبوا الى بردهم عاجلا .

سارتورياس: شكراً.. وفى نفس الوقت ارجو الا تعتبران المسألة منتهية حتى تحصل على هذه الردود .

ترنش : لا تعتبر منتهية ! ؟ كيف ؟

سارتورياس : أعنى ألا تعتبرها منتهية بينك وبين الآنسة بلانش انى عندما قاطعتكما وأنتما تتحدثان فى هذا المكان منذ فترة قصيرة كنت الاحظ أنك أنت وهى تعتبران المسألة منتهية بينكما . ولكن فى حالة قيام عقبة فى الموضوع وتوقف المباراة ... (يضحك) لأنى أعتبر الموضوع مباراة .. فى هذه الحالة لا أحب أن تعتقد بلانش أنها لم تسلم قيادتها الا لرجل مهذب وأنها ...

ترنش : (يومىء برأسه موافقا) .
هذا كلام مضبوط ، هذا حقيق

سارتورياس : هل لى اذا أن أعتمد على كلمتك فى أنك ستكون على مبعدة منها مؤقتا ؟

ترنش : (يتحمس)
سأكتب الآن فورا وقبل أن أغادر هذا المكان

سارتورياس : سأتركك لنفسك اذا ، ويسرنى أننا قد وصلنا الى تفاهم معــــا

(يدخـل الى الفندق .. ويدخـــل كوكين ويبدو أنه مشتـاق ليعرف ماتم)

ترنش : بلى .. أيها الصديق القديم .. لقد جئت فى وقتك فانا فى حاجة شديدة اليك ...

أريد ان تحرر لى خطابا هاما لأنقل منه عدة نسخ

كوكين : اسمع يا مستر ترنش .. لقد رافقتك فى هذه الرحــلة كصديق ، ولـكننى لست مستعداً لأن ارافقك فيها كسكرتير .

ترنش : حسناً .. اذن اكتب لى الخطابات كصديق .. اننى اريد ان اكتب خطـابا الى خالتى ماريا عمـــا تم بينى وبين بلانش .. انك تعرف الموضوع طبعا .

كوكين : من الذى قال لك اننى اقرأ الكف أو أعلم الغيب؟ وماذا تم بينك وبين بلانش ؟ هل أغش الليدى العظيمة ، أم أنبئها عن أخلاقك الفاسدة ؟

ترنش : أسكت يا أبله . لا تدع انك تجهل الغرض . لقد خطبت

بلانش و تقدمت للزواج منها إنها خطيبتى أيها المعتوه ، فما رأيك فى ذلك ؟ يجب أن أكتب فى بريد هـذه الليلة الى خالتى وأنت الرجـل الذى أعتمد عليه فى الكـتابة ، فماذا أقول لليدى فى خطابى؟ هيا أيهـا الصديق العزيز

(يشير الى كوكين بالجلوس على المائدة المجاورة و يقدم له ورقة و قلما)

خذ هذه الورقة الصغيرة انها تـكفى الآن .انها خريطة المواصلات اقلبهـا وأكـتب خلفها . هـذا حسن . أكـتب الآن يجب أن تنتقى الالفاظ و تختار العبارات اللطيفة وفـكر جيدا قبل أن تـكـتب ...

كوكين : (يضع القلم مغضبا)

اذا كـنت تشك فى قدرتى على التفكير فابحث لك عن سكرتير آخر

ترنش : (معتذرا)

أنا لا أقصد أن أوصيك على التعبير فانه لا يمكن لانسان أن يضع تعبيرا فى نصف قوة تعبيرك السليم ... ولـكن أريد أشرح لك الموقف ... لقـد وضع سارتورياس فى رأسه فـكرة ، وهى أنه لن يوافق نهائيا على زواجى من بلانش الا اذا رحبت الاسرة جميعا بهذا الزواج وباركوه ورحبوا بابنته وأبدوا سرورهم لها واشترط عـلى أن أكتب اليهم وأعرض عليه ردودهم وموافقتهم... ولاحظت أنه يهتم بصفة خاصة برأى الليدى روكس ديل وأنا واثق من أنها سوف

تكتب الى بردها وترحب بى وبخطيبتى وتدعونا لزيارتها .. والآن أظنك قد فهمت ما أريد .. أن الأمر يتوقف على حسن العرض لننال حسن القبول .

كوكين : وكيف يتاح لى حسن العرض وأنا لا أعلم عن الموضوع المعروض شيئا .. قل لى أولا من هو المستر سار توریاس ؟

ترنش (وقد أخذته الدهشة)

لا أدرى .. انني فى غمرة السرور والفرح لم أسأله عن نفسه ولا أعرف من هو ؟ إن هذا نوع من الاسئلة لا يستطيع المرء أن يقولها فى كثير من الاحوال .. ألا تستطيع أن تكتب الخطاب وتمر على هذه النقطة مر الكرام ؟ .. انى لا أجسر على توجيه مثل هذا السؤال اليه .

كوكين : أنا أستطيع توجيههذا السؤال اليه اذا شئت .. هذا أمر هين ... ولكن اذا كنت تعتقد أن الليدى روكس ديل لا تدقق فى هذه الناحية فلا داعي للسؤال .. قد أكون مخطئا وقد أكون مصيبا .. ولكن هذا هو رأيى أبديه اليك .

ترنش : (وقد زاد ارتباكه)

أوه !! يا للمضايقة ، ماذا نقول لليدى ؟ أتظن أننا نقول لها أنه رجل جنتلمان .. ؟

أم نقول لها أنه من الطبقة ارستقراطية . أم نكون قد ارتكبنا خطأ لو قلنا ذلك ؟ إننا اذا اكتفينا بأن نقول أنه رجل غني ، وأن بلانش هي وريثته الوحيدة فان خالتي ماريا لن تقتنع بذلك .

كوكين : هاري ترنش . متى يكون عندك شيء من الذكاء ؟ هذا أمر خطير يجب أن تفكر فيه جيدا قبل أن تقدم عليه .

ترنش : دعنا من هذا الوعظ والارشاد

كوكين : انني لا أعظك يا ترنش ، وأنا لست من الوعاظ ، انما فكر معي قليلا اذا قلت لأهلك أن زوجتك غنية وانها الوريث الوحيد لرجل ثري ألا ينبغي أن أقول لهم من أين جاءهم هذا الغنى وما وجه هذا الثراء ؟ أو ما هو مركزه في الحياة الاجتماعية ؟ أليس هذا أمر يعنيك ويتعلق بمستقبلك ومستقبل حياتك معهم ؟

(ينظر اليه ترنش ، وقد بدت له غلطته ولكنه لا يدري ماذا يفعل . كوكين يرمى القلم ويضطجع على كرسيه مفكرا)

ان هذا طبعا ليس من اختصاصي ولكنني احب ان الفت نظرك للحقائق الواضحة

(يدخل سارتورياس ومعه بلانش وقد استعدا لتناول الغذاء في الفندق)

ترنش : هش .. ها هما قادمان !! اعد الخطاب واكتبه قبل ان تبدأ الغذاء سأكون لك شاكراً من كل قلبي

كوكين : (وقد نفد صبره)

أتركني ... أتركني ... أنك تشوشر على ... سأحاول أن أكتب ولعلى أوفق

(يخرج ترنش ملوحا بيده ويبدأ كوكين فى الكتابة)

ترنش : (متجها نحو سارتورياس وابنته)

هل تسمح لى بان آخذ بلانش الى مائدة الغذاء يا سيدى ؟

سارتورياس : بكل تأكيد يا دكتور ترنش

(يسرع ترنش ويأخذ بلانش فى ذراعه ويتجه سارتورياس نحو كوكين)

أرجو أن لا اكون قد قاطعتك يا مستر كوكين

كوكين : لا ... ابدا . ان الأمر وما فيه ان صديق ترنش قد عهد الى بمهمة صعبة ودقيقة فقد طلب الى كصديق للعائلة ان اكتب الى اسرته فى موضوع يخصك

سارتورياس : حقا يا مستر كوكين ؟ ان هذه المراسلة لا يمكن ان توضع فى يد احسن من يدك

كوكين : (متواضعا)

هذا اطراء كثير يا سيدى العزيز وأظنك تقدر من هو ترنش؟ انه فتى ممتاز ومن خيرة الشباب يا مستر سارتورياس، انه يتميز بالعلم والاخلاق معا ولكنك تعرف أن المراسلات العائلية الهامة تحتاج الى تعبيرات دقيقة والى استعمال الحيلة والدهاء وليس ترنش بالرجل الواسع الحيلة وينقصه بعض المكر والدهاء وحياتنا هذه كلها خداع وحيلة ان له عقل صافيا وقلبا طيبا ..ولكنه لا يعرف الحرص ولا سعة الخيلة وبعد النظر ... ان كل شيء فى هذا الموضوع يتوقف على حسن عرض الأمر على الليدى روكسديل ... ولكن من هذه الناحية يمكنك الاعتماد على، فأنا أفهم النساء وأعرف الطريقة للوصول الى قلوبهن وغزو عقولهن .

سارتورياس : حسنا كيفما كان الأمر ومهما وقع من نتيجة لهذا الموضوع الذى لا يؤثر فى شخصى لا بكثيرا ولا قليلا، فانى أحب أن أقول لك أن سرورى بمعرفتك كان عظيما ، وأننى لحريص على هذه المعرفة ، واود من كل قلبي أن أتمسك بها وأدعوك الى زيارتى فى بيتى عندما نعود الى وطننا فى انجلترا .

كوكين : (وقد سره هذا الثناء)

عفوا ياسيدى العزيز .. انك تعبر عن نفسك بنفس الروح التى يعبر بها عن نفسه أى رجل انجليزى جنتلمان .

سارتورياس : شكرا يامستر كوكين . . اننى أوكد لك بأنك ستقابل عندى بكل ترحيب ، وأخشى أن اكون قد شوشت عليك انشاء الخطاب ، أرجوك أن تعود الى الكتابة سأتركك لنفسك (يتظاهر بالنهوض) ... ... الا إذا كنت تريد ان أساعدك بطريقة ما . . فهل تحب أن تستوضح أى نقطة فى الكتابة أو أن تقف على معلومات جديدة مثلا ، أو تحب أن تضيف تجاربى الى معلوماتك فى انتقاء العبارات المناسبة ؟

كوكين : (وقد أخذته الدهشة)
انى أكون سعيدا دائما لو قدمت أية مساعدة الى أحد من أصدقاء الدكتور ترنش بأية وسيلة وبالطريقة التى تمكننى من ذلك .

سيدى العزيز . . إنك رجل طيب حقاً . . انى والدكتور ترنش نضم رؤوسنا وقلوبنا معا لاخراج هذا الخطاب فى أحسن صورة . . ولكن هناك نقطة أو نقطتين فى حاجة الى ايضاح . . . ولم يسمح هارى لنفسه أن يستجوبك . . كلا ولكنه ترك الامر للظروف حتى يرد ايضاح هذه النقطة على لسانك .

سارتورياس : حسنا ، هل لى أن أسألك عما كتبت من الخطاب حتى الآن ؟

كوكين : خالتى العزيزة ماريا

﴿ هـذا معناه خالة ترنش وصديقتي الليـدى روكس ديل . . .
أظنك تعلم أنى اكتب هذا الخطاب لينسخه ترنش من بعدى .
سارتورياس : أفهم ذلك جدا . . . استمر فى القراءة واذا كان يسعدك
أن أمليك بعض كلمات . . . فلا بأس من ذلك .

كوكين ﴿ باهـتمام ﴾
أننى أرحب بما تقـترحـه من الكلمات وستكون كلماتك محـل
تقديرنا جميعـا .

سارتورياس : أظن أن مثل هذا الخطاب ، يمكن بدايته عـلى
الوجه التالى :

تحياتى اليك . . وحبى ، وبعد . . . ففى خلال رحلتى مع صديقى
المستر كوكـين حول نهر الرين . .

كوكـين : (يتمتم بالكلمات وهو يكـتب)
مع صديقى المستر كوكـين . . خلال نهر الرين .

سارتورياس : تم لى التعرف على . . أو تقول مررت بالصدفة
بـ . . أى التعبيرين تفضل؟

كوكـين : أفضل أن أقول كان لى فضل التعرف على . .

سارتورياس : لا . . لا لاداعى لتلك التعبيرات الرسمية ، أكتب كما قلت . . تم لى التعرف على سيدة مهذبة جميلة هى كريمة . .

كوكين : سيدة مهذبة جميلة هى كريمة . . (نعم)

سارتورياس : يحسن أن تقول جنتلمان

كوكين : طبعا . . هذا لايحتاج الى جدال

سارتورياس : جنتلمان واسع الثراء ، ذو مركز عظيم . . .

كوكين (يردد كلامه ببرود)

ذو مركز عظيم . . نعم

سار توریاس : ومع أنه رجل عصامى . . جمع ثروته بيديه الا أن ذلك لايعيبه فى شىء

كوكين : (يترك الكتابة ويفتح فمه فى دهشة وينظر اليه)

هل كتبت ما أقول ؟

كوكين : نعم سأكتبه ـ (الا أن ذلك لايعيبه فى شىء) هذا واضح جدا . . نعم ؟

سارتورياس : أما الفتاة الصغيره ، فانها الوارثة الوحيدة لمال ابيها وممتلكاته كلها ، وسوف تعامل بكرم وسخاء عند زواجها ، وكانت

ثقافتها ارق ثقافة وأعلاها حتى لقد وصلت علاوة على ذلك الى قرض الشعر وتؤلف الأدب وتهوى الفنون والموسيقى لما كانت البيئة التى نشأت فيها والاوساط التى ترعرعت بها منتقاة ومختاره أدق اختيار ولهذا فهى رقيقة التعبير والتفكير وتحب . . .

كوكين : (مقاطعا)

لى ملاحظة أرجو سماعها ألا تعتقد أن كل هذه التفاصيل بخصوص الآنسة كثيرة بغير داع

سارتورياس : (متضايقا)

ربما تكون على صواب . . وأنا على كل حال لا أملى عليك الفاظى نفسها . . ولكن أريد التعبير عن هذا المعنى . .

كوكين : طبعا طبعا

سارتورياس : إن كل ما أقصده ألا يفهم أى خطأ بالنسبة لنشأة ابنتى

كوكين : اذن يكفى أن نذكر مهنتك أو وظيفتك أو مركزك الأدبى أو مكانتك فى المجتمع . . أو أى شىء على هذا النحو . . (يتوقف عن الكلام ويرى أن لكلامه أشد الاثر على سارتورياس)

سارتورياس : (بصراحه وبتعبير واضح)

إن دخلي ياسيدى يأتى من قيم ايجابية لممتلكات واسعة فى لندن ، والليدى روكس ديل نفسها هى على رأس أصحاب الأملاك بالعاصمة ، والدكتور ترنش ان لم أكن مخطئا يتناول ايراده السنوى كله من فوائد بعض هذه الممتلكات المرهونه. والحقيقة يا مستر كوكين انني قد تعرفت على مركز الدكتور ترنش وأعماله قبل أن أتعرف على شخصه ولذلك فقد تمنيت من زمن طويل أن أراه شخصيا .

كوكين : (وقد زادت دهشته وزاد فضوله)

يا لها من صدفة عجيبة . فى أى حى تقع أملاك سيدى ؟

سارتورياس : فى لندن يا سيدى !! ان ادارتها تشغل من من وقتى أكثر مما تشغل الاعباء المختلفة لأى جنتلمان .

(ينهض واقفا ويخرج محفظته وينزع بطاقة من جرابها ويضعها على المائدة)

انني أترك بقية الخطاب لذوقك ولباقتك .. خذ هذه البطاقة .. فان فيها عنوانى فى ساربتون واكرر لك ما قلته يا مستر كوكين من أنه اذا حدث لسوء الحظ أى شىء ينشأ عنه توقف هذه الخطوبة فان ذلك سوف يدعو لخيبة الأمل لبلانش .. ولكن لا يمنع من أن تظل صداقتنا باقية على الدوام .

كوكين : (ناهضا ومواجها لمسترسارتورياس)

إعتمد على كلمتى يا مستر سارتورياس .. ان الخطاب قدتم هنا (مشيرا الى رأسه) ... وبعد خمس دقائق سيتم هناك... (مشيرا الى الورق)

سارتورياس : (مناديا خلال البوابة) ... بلانش

بلانش : (مجيبة من بعيد) نعم؟

سارتورياس : حان الوقت يا عزيزتى

(يتجه نحو مائدة الطعام)

بلانش : (مقتربة) ... ها أنا قادمة .

(تعود وتدخل من البوابة ويتبعها ترنش)

ترنش : (بصوت منخفض)

بلانش... انتظرى لحظة

(تتوقف) ... يجب أن نكون حريصين عندما يكون والدك على مقربة منا .. لقد وعدته بألا اعتبر المسألة منتهية حتى يأتى رد عائلتى بالموافقة

بلانش : (متضايقة)

آه .. اني فهمت ما تقول .. ولكن هل تظن ان عائلتك لا توافق وعندئذ ينتهي الأمر بيننا ؟

ترنش : « قلقا »

لا تقولي هذا الكلام يا بلانش ولا تذكرى هذه البشرى السيئة .. بل يجب ان تتفاءلي خيرا انك تتحدثين كأن الامر لا يعنيك من جهتك انت يجب ان تعتبرى كل شيء منتهيا ... انك لم تقطعي على نفسك عهدا كالذى قطعته أنا .

بلانش : « بحماس »

نعم ... لقد أعطيته وعدا لان ابى الح على فى ذلك ولكننى خالفت عهدى من اجل حبك اظن انى لست قوية الضمير مثلك .. واذا لم نعتبر الامر منتهيا برأى عائلتك ... او بغير رأيها وبوعدنا لأبى او بغير وعد ... فخير لنا ان نتحلل من خطوبتنا فى هذا المكان وفى هذه اللحظة

ترنش : « وقد أسكره الغرام »

بلانش ... أقسم لك بشرف المسيحية المقدس انه برأى عائلتى او بغير رأيها وبوعدنا لأبيك او بغير وعد فانى لك ... ولك وحدك ما بقيت على قيد الحياة !!

كوكين : « يأتى ملوحا بالخطاب فى يده » .

انتهيت يابنى وانتهى الخطاب الذى فى يدى على خير ما يرام

« يعـــود سارتورياس »

سارتورياس : الا تدخل مع بلانش يادكتور ترنش ؟

« ترنش يأخذ بلانش الى مائدة الغذاء »

هل انتهى الخطـاب يا مستر كوكين ؟

كوكين : « بكبرياء »

تفضل ... هذا هو الخطاب .

سارتورياس : « يقرؤه ويومىء برأسه موافقـا .

شكرا ... شكرا ... انك رائع ... انك اديب من الطبقة الاولى .

كوكين : العفو ياسيدى ... انهـا مسألة ذكاء ... ذكاء يامستر

سارتورياس .. الا تعرف الذكاء ان اعظم ذكاء هو الخبرة بالنساء .

« ستـــــــــــار »

(الفصل الثانى)

فى حجرة المكتب فى فيلا مختارة بساريتون وفى يوم مشمس من شهر سبتمبر سارتورياس يجلس الى مكتبه مشغولا فى أعمال كتابية مختلفة .. وأمامه أوراق خطابات مبعثرة .. ومدفأة مزينة بالزينة .

وتقع بجوار مكتبه مباشرة وبين النافذة والباب تجلس بلانش فى ثوب جميل من الفراك .. تقرأ فى قصة الملكة .. ويقع الباب الخارجى فى وسط الحجرة وجميع الحوائط مزينة بأرفف والكتب مرصوصة فوقها ومرتبة كأنها قوالب جميلة مكونة من الطوب .

سارتورياس : بلانش

بلانش : نعم يا بابا ؟

سارتورياس : عندى بعض الاخبار

بلانش : وما هى ؟

سارتورياس أقصد أنها من ترنش

بلانش : (متكلفة عدم الاهتمام)

صحيـــح !!

سارتورياس : صحيح ؟ هل هذا كل ما تقولينه عن خطيبك ؟

بلانش : ماذا قالت عائلته ؟

سارتورياس : عائلته ؟ !؟ لا أعرف

(لا يزال يتكلم وهو مستمر فى مشاغله)

بلانش : وماذا يقول هو !؟

سارتورياس : هو ؟ أنه لايقول شيئا

(يطوى خطا باكان يكتبه ويبحث عن مظروف)

أنه يفضل أن يتصل بنا ... أين وضعت المظروف ؟ ... آوه ... أنه هنا . نعم ... أن يتصل بنا ليبلغنا النتيجة بنفسه

بلانش . (تقفز واقفة)

أوه . . وفى أى وقت يحضر ؟

سارتورياس : اذا جاء من المحطة ماشيا يصل فى نصف الساعة القادم . . أما اذا جاء راكبا فانه سيصل بين دقيقة وأخرى

بلانش . (تسرع خارجة من الباب) . . عن اذنك يا أبى ؟

سارتورياس : اسمعى يا بلانش

بلانش : نعم يا بابا

سارتورياس : أنت طبعا لن تحضرى لمقابلته حتى انتهى من حديثى معه

بلانش : (باستغراب)

طبعا يا أبى .. مثل هذه الأشياء لا تفوتنى .

سارتورياس : شكرا لك.

(تخرج بلانش وتسرع الى حجرة ملابسها لتغير ملابسها فينظر اليها وقد بدت فى عينيه عاطفة الأبوة .

أرجو من الله أن يمنحكما السعادة

(يسمع دق الباب) يدخل ليكتشين حاملا حقيبة سوداء .. هو رجل أشعث تعلوه القذارة — يبدو عليه الفقر والحاجة ممزق الثياب وشعره غير مرتب — غير حليق الذقن ولا الشارب .. تبدو عليه العصبية ويظهر عليه الضجر من الحياة .. زائغ البصر بائس الطلعة ويقف أمام سارتورياس فى ذلة ومهانة .

ليكتشين : عمى صباحا يا آنسة

بلانش : (ترد عليه وهى خارجة وتنظر اليه باحتقار)

صباح الخير يا سيدى

سارتورياس : (بصوت خشن ووجه متجهم)

صباح الخير

ليكتشيز : (آخذا ربطة من النقود من داخل الحقيبة)

ليست هناك نقود كثيرة هذا الصباح يا سيدى لى شرف التعرف على الدكتور ترنش الآن عند حضوره

سارتورياس : (وقد رفع رأسه على الكتابة مشمئزا)

هل هذا صحيح ؟

ليكتشيز : نعم يا سيدى ... لقد طلب منى الدكتور ترنش أن أدله على الطريق ... وكان كريما اذ اخذنى فى سيارته من المحطة الى هنا

سارتورياس : وأين هو اذن ؟

ليكتشيز : تركته فى الصالة الخارجية مع صديقه يا سيدى ... أظنه الآن يتحدث مع مسز سارتورياس

سارتورياس : وماذا تعنى بصديقه ؟

ليكتشيز : هناك من يسمى كوكين يا سيدى معه

سارتورياس : اذن لقد دخلت معه فى حديث على ما أرى ؟

ليكتشيز . نعم لقد تحدثنا فى أثناء الركوب يا سيدى

سارتورياس : (بحدة) ... ولماذا لم لماتحضر فى قطار الساعة التاسعة ؟

ليكتشين : ظننت ....

سارتورياس : على كل حال لقد انتهى الأمر ولا يهم ماتظنه أو ظننته، ولكن أرجو ألا تؤجل عملك الى آخر لحظة مرة اخرى . . هل صادفت صعوبات أخرى فيما يختص بإيجارات سانت جيليز ؟

ليكتشين : مفتش الصحة كان يشكو مرة أخرى من المنزل رقم ١٣ فى شارع رويتز . . وأنه يقول أنه سيعرض موضوعه على لجنة المخالفات .

سارتورياس : ألم تخبره أنى عضو فى هذه اللجنة ؟

ليكتشين : نعم قلت له ذلك ياسيدى .

سارتورياس : وبماذا أجاب؟

ليكتشين : قال أنه توقع هذا والا لما جرؤت على مخالفة القانون بمثل هذه الوقاحة ومعذرة لقولى لأننى أذكر لك ألفاظه بالتحديد .

سارتورياس : هل تعرف اسمه ؟

ليكتشين : نعم ياسيدى ان اسمه سبيكمان

ساتورياس : اكتب اسمه فى المفكرة اليومية قبل يوم انعقاد مجلس الصحة . . . سوف الق عليه درسا لأعلمه كيف يعامل أعضاء لجنة المخالفات باحترام .

ليكتشين : « بتشكك »

ان لجنة المخالفات لا تستطيع ان تقدم اليه اذى ياسيدى ... انه تابع لهيئة الحكومات المحلية مباشرة

سارتورياس : انى لم اسألك رأيك فى هذا ... فلا تتدخل فيما لا يعنيك ... أرنى دفاترك « يخرج ليكتشين دفتر الايجارات ويقدمه اليه ويقيد فى المفكرة الملاحظة التى أبداها المستر سارتورياس ... ويرقب مستر سارتورياس بقلق وهو يراجع دفتر الايجارات ... يقف سارتورياس مغضبا »

جنيه وأربعة شلنات اصلاحات فى المنزل ١٣ .. ما معنى هذا ؟

ليكتشين : حسنا ياسيدى ... انها السلمة الموجودة فى الدور الثالث ... انها مكسورة وتعرض حياة السكان للخطر فليس فى هذا الدور الا ثلاث سلالم وليس لها افريز فرأيت ان نضع لها عدة الواح صغيرة لنصونها بها

سارتورياس ألواح !! بل قل خشب للحريق ياسيدى انهم سيأخذون هذه الألواح ويستعملونها للتدفئة بكل عود منها .. انك قد أنفقت أربعة وعشرين شلنا من مالى الخاص لتقدم للسكان خشبا للحريق .

ليكتشيز : هل كنت تفضل ان نصنع السلالم من البلاط يا سيدى ان القسيس يقول . . .

سارتورياس : من ؟ من الذى يقول ... ؟

ليكتشيز : القسيس ياسيدى . . لقد ألح على كثيرا فى اصلاح السلالم

سارتورياس : انى رجل انجليزى ولا أقبل من أى قسيس أن يتدخل فى أعمالى

(ينظر مدققا نحو ليكتشيز)

اسمع يامستر ليكتشيز هذه هى المرة الثالثة التى تقدم لى فيها فاتورة عن اصلاحات تزيد قيمتها على الجنيه وقد أنذرتك مرارا ألا تعامل هذه البيوت الحقيرة التى تؤجرها معاملة العمارات فى ميدان وست أند وقد أنذرتك أيضا ألا تناقش أعمالى مع الناس الغرباء وقد اخترت أن تخالف رغباتى وعلى ذلك فأنت مفصول من عملك .

ليكتشيز : (مذعورا)

أوه ... لاتقل هذا ياسيدى

سارتورياس : (بشراسة)

أنت مطرود

ليكتشين : حسنا يامستر سارتورياس . . ان الأمر قاس على جدا . . انك تعلم أنه لايوجد انسان على وجه الدنيا استطاع أن يبتزلك مالا من هؤلاء الأرامل والفقراء واليتامى وأبناء السبيل مثلما ابتززت لك أنا منهم . . لقد اتسخت يداى من أموال المساكين ومن استغلالهم القذر حتى لم تعد تصلحان بعد ذلك لعمل نظيف . . والآن ها أنت تنذرنى وتركلنى بقدمك و ...

سارتورياس : (مقاطعا) ومهددا

ماذا تعنى بأنى قد وسخت يديك ؟

اذا وجدت أنك قد تعديت خارج دائرة القانون بحرف واحد فانى سأقبض عليك بيدى يامستر ليكتشين . . أن الطريقة المثلى لتجعل يديك نظيفتين هى أن تحصل على الثقة من مخدومك وستجنى فائدة كبرى اذا وضعت هذه الحقيقة نصب عينيك فى وظيفتك القادمة

الوصيفة : (فاتحة الباب) الدكتور ترنش والمستر كوكين ياسيدى

(كوكين وترنش يدخلان ... ترنش يلبس ثيابا زاهية وهو فى حالة نفسية رائعة وسرور شديد)

سارتورياس : كيف حالك يادكتور ترنش؟ وصباح الخير يامستر كوكين . . انى مسرور لرؤيتكما . . مستر ليكتشين . . يمكنك أن تضع حساباتك ونقودك على المائدة وسأراجعها وأصفى الأمور معك بعد قليل

(يتراجع ليكتشيز الى المائدة ويبدأ فى ترتيب حساباته وقد بدا عليه الألم الشديد تتراجع الوصيفة خارجة)

ترنش (ناظرا الى ليكتشيز)

أخشى أن أكون قد عطلت أعمالكما

سارتورياس : لا ... أبدا ... أجلس أرجوك .. آسف اذا كنت قد تركتك واقفا

ترنش : شكراً .. أن وقوفنا لم يطل

(يخرج من جيبه رابطة من الخطابات ويحلها)

كوكين : (ذاهبا الى كرسى بقرب النافذه ، ينظر باعجاب حول الغرفه)

أظنك سعيدا بكل هذه الكتب التى فى مكتبتك الفاخرة . اننى لم أر فى حياتى مكتبة مثلها يا مستر سارتورياس . ان هذا جو أدبى عظيم !!

سارتورياس : مستعيدا مقعده ... اننى لم انظر فى كتاب واحد منها ... انها تجلب السرور على بلانش بين حين وآخر لأنها هى المغرمة بالقراءة والمعرفة والعلم . ولها اطلاع واسع وثقافة بعيدة المدى . لقد اخترت هذا المكان لها وخصيصا من أجلها لأهيء لها

الجو الشاعرى والهدوء الجميل لتنمية ثقافتها وتغذية روحها لأن الكتاب فى اعتقادها هو الغذاء الروحى الجميل .

ترنش : (بلهجة المنتصر)

عندى أى كمية تطلبها من الخطابات من أعضاء أسرتى بالموافقة على زواجى . وبتهنئتى بعروسى الجميلة ... أهل أسرتى كلهم مغتبطون لأننى سأستقر فى حياتى ... خالتى ماريا « الليدى روكس ديل » نفسها تريد أن يكون زواجنا فى بيتها وأن نقضى شهر العسل عندها

(يسلمه خطابا)

سارتورياس : الليدى روكس ديل قالت ذلك ؟

كوكين : انها قالت أكثر من ذلك . تكلم يا صديقى بذكاء .. أين الذكاء . ان الذكاء هو أهم شىء فى الحياة لا يفلح مع النساء الا الذكاء

سارتورياس : لا شك فى ذلك

كوكين : وكذلك جاءت موافقة من السيد هنرى ترينش جدها أرى

ترنش : نعم لقد وافق هو أيضا .. أنه أظرف شخصية يمكنك أن تقابلها فى هذا العصر كله ... انه يمنحنا قصره فى سانت اندروز فى شهرين كاملين نقضيهما فيه طلبا للمتعة بعد الزواج

﴿ يسلم سارتورياس الخطاب ﴾

سارتورياس : ﴿ وجسمه يرتعد عند سماعه هذه الالقاب ﴾

لا شك أن هذا يبدو تفضلا منهم

كوكين : ﴿ بمكــــر ﴾

لا ... لا ان هذا شيء بسيط بالنسبة لهم

ترنش : ﴿ بابتهــاج ﴾

والآن ماذا تقول يا مستر سارتورياس ؟ هل لنا أن نعتبر الأمر منتهيا نهائيا ؟

سارتورياس : منتهيا تماما

﴿ ينهض ويقدم يده لترينش مصافحا وعيناه تلمعــان بالشــكر ويصافحه كوكين بحرارة ﴾

اسمحا لى أن اهنئــكما معا

كوكين : (ينظر من الواحد إلى الآخر)

سارتورياس : والآن أيها السادة لى كلمة أقولها لابنتى وانكما لا ينبغى أن تحرمانى من شرف حمل هذا الخبر السعيد اليها فهل تسمحان لى بعشر دقائق ؟

ترنش : بكل تأكيد

سارتورياس : مع الشكر ... (يخرج)

ترنش : (يضحك بخفة)

ان المسكين لن يجد خبرا جديدا يفضى به اليها . لقد اطلعتها على الخطابات قبل أن أدخل اليه بها .

كوكين : انى اعترف يا هارى أن سلوكك ليس على ما يرام .

ليكتشيز (بتذلل)

أيها السـادة ...

ترنش وكوكين : (يلتفتان وقد نسيا أنه موجود)

أهلا ليكتشيز . . . (يتقدم بينهما بتواضع شديد ولكن فى قلق وتسرع)

ليكتشيز : اسمعا الى قليلا ...

(ناظرا الى ترنش) انى أعنيك بحديثى بصفة خاصة . هل يمكن أن تقول كلمة فى مصلحتى الى سارتورياس؟ لقد طردنى من خدمته منذ لحظة .. وأنا عندى أربعة أطفال وأنهم بغيرى لا يجدون القوت الضرورى . كلمة منك فى يوم خطوبتك السعيدة قد تجعله يردنى الى الخدمة مرة أخرى .

ترنش : (مرتبكا)

حتتنا يامستر ليكتشين . . ولكنى لا أستطيع أن أتدخل فيما ليس لى فيه وأنا آسف لك جدا بالطبع ...

كوكين : بالتأكيد لا يمكنك أن تتدخل . . أن هذا يعتبر قلة ذوق . . أن الذوق والذكاء هما أهم شيء فى الحياة

ليكتشين : أيها السيدان . . انكما لا تزالان صغيرين . . انكما لا تدركان معنى فقد الموظف لوظيفته خصوصا اذا كان فقيرا معدما مثلى . . ما الذي يضيركما اذا ساعدتما رجلا فقيرا ؟ استمعا لى دقيقة واحدة فأحدثكما بظروفى انى ...

ترنش : (مقاطعا) . . لا . . انى أفضل ألا أسمع شيئا وأسمح لى أن أقول لك بصراحة أنى أعتقد أن المستر سارتورياس ليس بالرجل الذى يتصرف بحمق أو بقسوة . . لقد وجدته عادلا كريما . وأظن أنه يستطيع أن يحكم على ظروفك خيرا منى

كوكين : (وقد أثاره الفضول)

أعتقد أنه ينبغى عليك أن تستمع لظروفه ياهارى . . أن هذا لن يضيرك فى شيء ... استمع الى قصته لعلك تستطيع أن تمد يد المعونة اليه

ليكتشيز : لا داعى يا سيدى ، فلا فائدة من ذكر قصتى ، فما دمتم تعتقدون أن هذا الرجل رجل عادل كريم فلا فائدة من التحدث اليكما عنه

ترنش : (بشدة)

اذا كنت تريد أن تطلب منا مساعدتك فان أسوأ ما تفعله أن تمس المستر سارتورياس باى سوء أمامى .

ليكتشيز : وهل مسسته أمامك بكلمة سوء واحدة يا سيدى ؟ اننى أدع الحكم لصديقك هذا ...

كوكين : صحيح يا هارى . أنه لم يقل شيئا ضده . كن عادلا

ليكتشيز : أنه يا سيدى لن يجد مستخدما مثلى . أنه لن يجد من يجمع الايجارات الأسبوعية مثل التى أجمعها . اننى أحصل له مالا من السكان لا يستطيع أحد على ظهر الدنيا أن يحصله مثلى وهذا هو الشكر الذى يقدمه الى . أن يقطع عيشى ويطردنى من عنده فلا أعرف أين أذهب ولا أدرى بعد ذلك كيف أعيش ولماذا ؟ لسبب لا يكاد يصدقه العقل ... انظر الى هذه الحقيبة من النقود التى على المائدة . . أنه لا يوجد بنس واحد منها الا وقد جمع من أم يبكى ولدها جوعا من أجل قطعة خبز . أو كسيح لا يملك الا شلنا جمعه من الصدقة أو مريض ليس فى جيبه ثمن الدواء أو يتيم تنفق عليه جماعة البر

بالفقراء أو أعمى لا يملك قوت يومه أو معتوه لا يؤدى عملا يؤجر عليه ولكننى جمعت الايجار منهم باللين تارة وبالشدة أخرى بالحيلة مرة وبالقسوة مرة وهناك أحوال ما كان يجدر بى أن آخذها : كنت أبتزها منهم وقلبى يتفتت حنانا عليهم ودموعى تجـــرى شفقة بهم ولكنى أضطر الى جمعها وأخالف ربى وضميرى فى أمرها من أجل اولادى الجياع المساكين الذين ان لم أفعل ذلك من أجلهم فقدت وظيفتى وحرمت من أجرى ولم أصل الى رضاء المستر سارتورياس عنى ولسبب تافه وهو انى كلفته أربعة وعشرون شلنا فى اصلاح سلم فى بيت تسكنه ثلاث نساء من اليتامى والارامل وليس فى البيت كله الا ثلاثة سلالم ... طردنى طرد الكلاب ورمانى الى الشارع بغير عمل أقتات منه رغم ما علم به من اصابة احدى النساء بسبب كسر السلم ومن توسط احد القسس بالرجاء باصلاحه ورفض ان يصغى الى توسلاتى مع انى كنت مستعدا ان ادفعها من اجرتى الخاصة بل انى للآن مستعد ان ادفع قيمة الاصلاح من جيبى والآ احمله اياه اذا وعدتنى بالتوسط لديه لاعادتى الى عملى

ترنش : (مبهوتا)

هل تحصل مالا من الارامل واليتامى والعاجزين والمقعدين والبلهاء والمحتاجين ؟ يا لك من شرير !! وتريد منى التوسط لانقاذ

روحك ؟ ان مثل روحك يجب ان تذهب الى الجحيم ... ان العقاب الذى اعطاه لك المستر سارتورياس قليل عليك

ليكتشيز : (محملقا فى وجهه ومندهشا لعبارات الاحتقار التى يوجهها اليه)

انظر الى يا بنى ... انك لا تزال شابا بريئا لا تعرف شيئا عن أمور الدنيا ... أنك تظن أننى قاس فى جمع أموال المحتاجين وأن المستر سارتورياس متألم لذلك ... أن الأمر على عكس ما تقول انه غير راض عنى ويغضب من عملى لأن قسوتى ليست كافية ... أنه لم يقل لى يوما أنه قد قنع أو اكتفى بل أنه يطلب منى المزيد ... أنه لو استطاع أن يسلمنى كرباجا فالهب بهظهورهم ليخرجوا ما معهم من مال أو سكينا حامية لاسلخ جلودهم واخرج ما بها من بر لاسلمه اليه لما قنع أو اكتفى . . انه من أسوأ أصحاب الاملاك من الذين رأيتهم فى حياتى فى المعاملات المادية . . ولذلك فقد قلت انه من العبث أن أوسطك فى ان تحدثه بأمرى عندما وصفته بأنه كريم عادل ولازلت أقول اننى خير محصل للأيجار سوف يصادفه فى حياته لقد ابتززت له كثيرا وكلفته قليلا وحافظت على ممتلكاته مع انه لايمكن ان تسميها ممتلكات . . اننى اعرف مواهبى جدا يادكتور ترنش وسأدافع عن نفسى ان لم أجد أحدا آخر يدافع عنى

كوكين : وأى نوع من الممتلكات هى ؟ أهى بيوت ؟

ليكتشيز : انهـــا منازل ايجارية ، اشبه شيء بحظائر البهائم او (اسطبلات) الخيول . . بل ان الحيوانات لتعاف منها وتأبى أن تعيش فيها . . انها تؤجر اسبوعا باسبوع . . بعضها مؤجر بالحجرة وبعضها بنصف الحجرة والبعض بربع الحجرة وبعضها بالأنصبة المختلفة وهى تدر كنزا عندما تعرف سبيل الوصول اليه وعندما تعرف كيف ترعب هؤلاء الناس وتخوفهم وتدرك موعد الانقضاض عليهم . . لاشيء يدر مالا مثل هذه البيوت انها مكدسة فى مساحة ضيقة من الارض وتتكلف مالا بسيطا فى بنائها بطريقة رخيصة لا رعايه فيها للصحة ولا للراحة ولا الجمال . . ولا ينفق المالك عليها أى شيء فى الاصلاح أو الصيانة أو التجديد أو التجميل أو الدهان . . مباءة للقاذورات ومجمع للميكروبات ، ولكنها معين للربح لا ينضب ، تأتى بمال صاف بدون خسارة أو نفقات . . انها قذرة وضيقة ، ومكتظة بالفقراء والمساكين وذوى العاهات ولكنها تدر مالا وفيرا لا تدره أية عمارة فى بارك لين ، فكل شبر منها له ايجار والفقراء يهرعون اليها من ناحية كما يهرع الذباب الى الأوساخ

ترنش : أرجو ألا يكون المستر سارتورياس ليس عنده الكثير من هذا النوع من الأملاك مهما كان دخلها . .

ليكتشين : انه لايملك شيئا سواها ياسيدى ، وهو يبدى نبوغا وكفاية وعبقرية نادرة فى ادارتها أيضا فكل بضع مئات من الجنيهات تتوفر له يقوم بشراء بيوت قديمة من هذا النوع ويبادر الى تأجيرها لهذه الطبقات . . بيوت من النوع الذى لا تملك إذا رأيته الا ان تسد أنفك من شناعة الرائحة المنبعثة منها . . عنده بيوت من هذا الصنف فى سانت جيلز واخرى فى مارلى بون وغيرها فى بيتنال جرين وغيرها فى شارع روبنز وممر باركى و نظرة واحدة الى الحياة الناعمة الرغيدة التى يعيشها تدرك مقدار ما تدره عليه هذه الأملاك . . انها تشبه المومياء الذهبية لقدماء المصريين الموضوعة فى بطن القبور ووسط الحصى والرمال العفنة يعثر الناس عليها عندما ينبشوا فى الارض القذرة فيستخرجون منها تبرا وذهبا . . يمكنك ان تأتى معى الى شارع روبنس فأريك هذه القبور وتلك المومياء ولاحظ قبل اى شئ اننى صاحب الفضل فى اخراج النقود له من هذه المجموعة من القاذورات فليبرز هو من بين قصوره أو فليخرج من النعم التى يتقلب فيها وفراشه الوثير الناعم ويرينى كيف يجمعها .

ترنش : هل تقصد أن تقول أن كل أمواله وجميع دخله يأتى من مثل هذه الاملاك ؟ هل كل موارده من هذا النوع .

ليكتشين : كل بنس منها يا سيدى .

ترنش : (يجلس مرتاعا وقد هزه الخبر)

يا للهول !! يا لفظاعة ما أسمع وأرى ؟

كوكين : (ينظر بحنان اليه)

آه يا صـــديق . . ان حب المال هو رأس كل خطيئة فى الحياة

ليكتشيز : نعم يا سيدى ولكننا جميعا لا نشبع من المال واذا كانت لنا شجرة فى حديقتنا فليس أحب لدينا من أن تنمو وتنمو ، وتعلو وتعلو حتى تصل الى عنان السماء ... .

كوكين : (تاثرا)

مستر ليكتشيز : أنا شخصيا لا يمكن أن أخدمك ولا أسمح بمساعدة محصل للاجور بمثل هذه القسوة .

ليكتشيز : انى لست أسوأ حالا من أى محصل على شاكتى . . وعذرى فى ذلك أن لى أطفال تتوقف حياتهم على مساعدتى .

كوكين : هذه حقيقية أنا أعترف بها . وكما أن لك أطفالا فكذلك المستر سارتورياس له فتاة ولا أظن ان حبه لفتاته يكون موضع العذر له .

ليكتشيز : أنها فتاة محظوظة جدا يا سيدى . فكم من الفتيات

امثالها من ذوى الحسب والنسب يهيمون فى الشوارع بلا مأوى . وهكذا ترى اية سعادة تجر هذه الاعمال التجارية على المستر سارتورياس وابنته . هيا يا سيدى هيا . قل لصديقك ان يقول كلمة فى مصلحتى بعد ان وقفتم على كل شىء وعلمتم ان الخطأ لم يصدر منى

ترنش : (ناهضا بغضب)

لن اقول شيئا . ان العملية كلها عملية قذرة وتعسة من بدايتها الى نهايتها . وانت لا تستحق حظاً اسعد من هذا لمشاركتك فى هذا العمل الظالم . وقد رايت اثر ذلك كله فى مرضى العيادات الخارجية بالمستشفى الذى اعمل فيه . ان هذا يجعل الدم يغلى فى عروقى ولا ادرى كيف لا تستطيع الحكومة وقف مثل هذا الابتزاز المنكر وذلك الاستغلال الدنىء

ليكتشيز : (وقد انفجر لشعوره بالظلم)

اوه . . حقا يا سيدى . . ولكن اليس المفروض ان تنال انت نصيبك ونصيب زوجتك من هذه الأموال عندما تصبح زوجا للآنسة بلانش ، بغضب ، أينا أشد وزرا وأكبر ذنبا ؟ الذى يأكل الأموال وينفقها ويتقلب على فراش النعيم بها ... أم الأجير المسكين الذى يجمعها ويريق ماء وجهه فى الحصول عليها ، ولا يناله منها الا الفتات والنذر اليسير ليقيم أوده وأود أطفاله ؟ أريد أن أعرف أينا أحق باللوم والتحقير ؟ !!!!

كوكين : انك لم تكن موفقـا فى هذا التعبير وفى مثـل هذا الكلام الذى لا يصح أن يوجه الى رجل جنتلمان يامستر لكتشيز .

ليكتشيز : ربما ياسيدى، ولكن معذرة لنشأتى الوضيعة وللبيئة الحقـيرة التى أخالطها فى شارع روبنز وامثاله فبمثل هـذا الشارع لا يخرج أساتذة للأخلاق ، ولو أنك كلفت بجمع الايجار فى اسـبوع واحد لاعترفت بأنى ملاك بالنسبة لهؤلاء الناس .

كوكين : « بكبرياء »

ألا تعرف لمن توجه الكلام أيها الرجل الطيب ؟!!

ليكتشيز : « بغير اكتراث »

أنا أعرف جيدا من أخاطب ، ولـكن ما الذى يهمنى منكم ولا من ألف من أمثالـكم ؟ انى فقير بل ضائع ... وهذا يكفى لأن يجعلنى مجرما شريدا ، فانى لا أجد تقديرا عند أحد « وفجأة يتعلق بذراع ترنش »

كلمة واحدة منك ياسيدى انها لن تكلفك شيئا

« يظهر سارتورياس عند الباب من غير أن يلاحظوه »

كن رحيما بالفقراء .

ترنش : أخشى أن أقول لك ان كل هذه الاعترافات التى ذكرتها لم تترك فى قلبى قطرة واحدة من الرحمة بك .

ليكتشيز : « ينفجر ثانية »

انك لست أحسن حالا من حماك العزيز وانى ... ...

سارتورياس : « يقاطعه بصوت مرتفع »

هل تسمح بالحضور غدا يامستر ليكتشيز فى الساعة العاشرة صباحا لتصفى حسابك ؟ انى لن أؤخرك اليوم أكثر من هذا

« يخرج ليكتشيز خجلا يجر أذيال الخيبة »

انه أحد عملائى الذين كانوا فى خدمتى لأننى طردته حيث تكرر منه مخالفة تعليماتى .

«يظل ترنش صامتا متجهما ويحاول سارتورياس أن يحسن الجو»

بلانش سوف تنزل الى هنا حالا يا هارى

«ترنش تائه فى تفكيره »

أظن انه يحق لى ان اسميك هارى الآن ؟ ما رأيك فى نزهة حول الحديقة يا مستر كوكين ؟ ان أزهارها لها سمعة ذائعة فى هذا المصيف كله .

كوكين : يسرنا ذلك ياسيدى العزيز . . أن الحياة هنا لها شأن عظيم

سارتورياس : (بمكر)

هارى سوف يتبعنا مع بلانش ... انها سوف تنزل اليه حالا

ترنش : (بسرعة) . . لا . . لا انى لاأستطيع أن اواجهها الآن

سارتورياس : (يغمزه) حقا ؟ ها ها ها

كوكين : ها ها ها

ترنش : ولكنك تفهم ما أعنى

سارتورياس : نحن نفهم جيدا . . أليس كذلك يامستر كوكين ؟ ها ها ها

كوكين : أظننا نفهم جيدا ها ها ها

(يخرجان وهما يضحكان منه . . يهوى على كرسيه وهو يضرب كفا بكف وأعصابه ثائرة ووجهه متجهم .. تظهر بلانش عندالباب . . يعلو وجهها البشر والسرور عندما ترى أنه وحده فى الحجرة . . تتسلل الى خلف الكرسى الذى يجلس عليه .. تضع أصابعها فوق عينيه وبحركة عصبية وفزع يقفز من على كرسيه ويبعدها عنه)

بلانش : (مندهشـــة)

أوه !!! ماذا بك ياهارى ؟!

ترنش : (يصطنع الأدب)

أرجو عدم المؤاخذة اننى كنت مستغرقا فى التفكير ، الا تجلسين ؟

بلانش : (تنظر اليه بشك)

هل حدث شىء ؟

(يجلس ببطء عند مائدة الكتابة)

ترنش : لا . . لم يحدث شىء

بلانش : هل آلم شعورك والدى ؟

ترنش : لا . . انى لم أكلمه من وقت حضورى الا بضع كلمات

(يقف ويأخذ كرسيه الى جوارها فيعود اليها السرور وتبتسم له)

بلانش . . هل أنت مغرمة بالمال ؟

بلانش : مغرمة به جدا . . ولماذا هذا السؤال ؟ هل عندك شىء من المال تعطيه لى ؟

ترنش : (بحرارة)

لا تجعلى من حديثى سخرية ، أنا جاد فيما أقول ... هل تتألمين اذا عشنا فقراء ؟

بلانش : طبعا ... ولكن هل هذا هو ما جعلك تبدو مقطب الوجه كأنك عفريت ؟ ،

ترنش : (متوسلا)

ياعزيزتى أن هذا ليس بالشيء المضحك ... ألا تعلمين أن ايرادى السنوى لايتعدى السبعماية جنيه ... واننا يجب أن نعيش على هذا المبلغ؟

بلانش : ما افظع ذلك ... أعوذ بالله

ترنش : بلانش ... ان هذا امر خطير حقيقة اؤكد لك ..

بلانش : مثل هذا المبلغ يجعلنى فى ضيق عائلى شديد وانه لم يكن عندى ما املكه ... ولكن بابا وعدنى بأننى سأكون اغنى فتاة عندما اتزوج ... وسأعيش حياة أكثر رغدا وسعادة من حياتى قبل الزواج

ترنش : اظننا يجب ان نبذل غاية جهدنا لنعيش بالسبعمائة جنيه ويجب ان نعتمد على انفسنا وحدنا دون ان نحتاج الى معونة من احد

بلانش : هذا ما كنت انوى ان افعله ياهارى ... ولكن اذا كنت سأحصل لنفسى ولمطالبى على نصف ايرادك ، فسيجعلك زواجى منك أفقر مما أنت عليه بمقدار الضعف على الأقل ... وهذا ما لا ارضاه ... اننى اريد ان اسعدك ياحبيبى ... اريد على العكس ان اجعلك اغنى مما انت عليه بمقدار الضعف على الأقل وهذا أقل ما يرضينى .

« يهز رأسه معلناً عدم الموافقة »

هل اثار والدى اية صعوبة فى هذا الخصوص ؟

ترنش : « ناهضا وهو يتنهد »

لا .. لم يحدث شيء من هذا

« يجلس فى مواجهتها .. وعندما يبدأ فى الكلام يتجهم وجهها دليلا على انها تضغط على اعصابها »

بلانش : اسمع ياهارى ... هل انت متكبر جدا حتى انه ليؤذى كبرياؤك ان نأخذ نقودا من ابى ؟ !

ترنش : نعم يابلانش ... اننى متكبر جدا ويؤذينى جدا ان نأخذ اى شيء من نقود والدك

بلانش : ولكن هذا شعور غير ودى بالنسبة الى يا هارى ... فما السبب فيه ؟

ترنش : يجب ان تتحمليني يابلانش ... اننى لا استطيع ان افسر لك اكثر مما قلت ... واظن ان هذا هو الشعور الطبيعى عند كل نفس أبية .

بلانش : هل خطر لك اننى ربما اعيرك بمال ابى ؟

ترنش : كلا .. لم تخطر لى مثل هذه الفكرة .

بلانش : فى الحقيقة لا يمكن لى ولا لأحد غيرى ان يتهمك بأنك قد تزوجتنى من اجل المال ... هذا من جهة ... ومن جهة اخرى فمن المستحيل علينا ان نعيش على سبعمائة جنيه فى السنة وليس من العدل ان تحكم على بهذا الضيق خوفا من ان يقول الناس انك تعيش على مالى .

ترنش : ان هذا ليس هو السبب الوحيد يا بلانش .

بلانش : اى شيء آخر اذن ؟ !

ترنش : لا يمكنني ان اقول ... لا شيء

بلانش : « تنهض واقفة وهى تتمالك اعصابها وتحاول اقناعه وتهدئته »

طبعا لا شيء ... انك لا تجد شيئا تقوله ... هيا يا هارى لا تتجهم وتعقد وجهك وتعقد الأمور بهذا الشكل .. كن لطيفا طيبا وأصغ الى .. انى أعرف كيف أسوى الأمر .. أنت متكبر لا ترضى بأن تكون مدينا بشيء لى .. ان عندك سبعمائة جنيه فى السنة .. سآخذ منك السبعمائة جنيه وآخذ من أبى سبعمائة مثلها .. ولا ازيد على ذلك ، فتقوم بيننا قسمة متساوية وشركة متعادلة ، فلا تبغى على ولا أبغى عليك ... أيرضيك هذا ياحبيبى ؟ أظن

أنه ليست لديك كلمة اعتراض واحدة تقولها بعد ذلك ؟!

ترنش : هذا مستحيل . .

بلانش : مســــتحيل ؟

ترنش : نعم مستحيل . . لقد صممت وعزمت عزما أكيدا على ألا تمس يدى بنسا واحدا من نقود والدك .

بلانش : ولكنه سيقدم النقود الى لا اليك .

ترنش : انه نفس الشيء ... فأنا وأنت شيء واحد .

بلانش : انني واثقة على أنني وأنت جزء واحد لا يتجزأ ياهارى ، وأنت تعرف مبلغ حبي لك ومقدار تعلقي بك وشدة حرصي على الاحتفاظ بك ، فلماذا تقيم هذه العقبات ؟ ولأى سبب تريد أن تجعل حياتي مستحيلة معك ؟ انى مصممة على أن أعرف السبب ... هل تكتم عنى شيئا ياهارى ؟ هل قال أبى شيئا أعتبرته مهينا لشخصك ؟ !

ترنش : لا . . لقد كان كريما معى ... أنا على الأقل ليس هذا هو السبب ولا أى شيء آخر يمكن أن تخمنيه يا بلانش ... انى لا أريد أن أسبب لك ألما ولا أن أجرح شعورك ... ولا أنوى أن أفعل ذلك طبعا ، كل ما أطلبه منك أن تتزوجيني على علاتى وأن تعيشى على دخلي المحدود دون سواه ... انني أنوى أن أسير فى مهنتي بكل

حماسة الى أبعد شوط وأن أمشى فى سبيل زيادة رزقى حتى تحفى قدماى ...

بلانش : « تربت على خديه وتحاول أن تستعطفه »

ولكننى لا أحب ان اراك بأقدام حافية ، وأتوسل اليك ان تخبرنى عن السبب ... اننى اكره الاسرار ولا احب ان تعاملنى بهذا الشكل ... هل انا طفلة صغيرة ؟

ترنش : « يبعد يديها عن خديه بعنف »

ليس لدى ما أقوله لك .. كل ما فى الأمر اننى لا احب ان اتخذ من كرم ابيك قنطرة ابنى عليها سعادتى الزوجية .

بلانش : انك من نصف ساعة مضت لم يكن لديك اعتراض على الأمر عندما قابلتنى فى الصالة واطلعتنى على الخطابات فاذا كانت اسرتك نفسها لا تعارض ... فهل أنت الذى تعارض ؟

ترنش : اننى لم اعارض فى مبدأ الزواج ... اننا نتحدث عن الأمور المالية وحدها .

بلانش : « وقد ضاقت بصلابته ذرعا .. تستمر تستعطفه للمرة الأخيرة »

هارى . . لافائدة ياحبيبي من إقامة هذه الحواجز فى طريقنا .. بابا لا يمكن ان يوافق على ان اعيش هـذه الحياة بعد الحياة النـاعمة التي كنت احياها . . وانا نفسى لست موافقة على الفكرة ولا مقتنعة بها . . فاذا انت صممت على هذا الرأى فمعنى هذا انك ستفسخ الخطوبة وسيكون مصير مشروع الزواج الى الفشل الاكيد .

ترنش : « بعناد »

لا يهم ......

بلانش : « وقد ابيض وجهها من شدة الغضب »

لا يهم !!؟ ..... آه لقد فهمت ... اذن انت ترمى الى فسخ الخطوبة من اول الامر ... سأوفر عليك هذا التعب .. يمكنك ان تذهب الى ابي وتخبره انى اناالتى فسخت الخطوبة وعندئذ توفر على نفسك التعب ...

ترنش : « مأخوذا »

ماذا تعنين يا بلانش ؟ اخشى ان اكون قد اهنتك

بلانش : اهنتنى ... ؟ !! كيف تجرؤ على توجيه مثل هـذا السؤال الى ؟

ترنش : أجـرؤ ؟ !

بلانش : كانت الرجولة تقتضى منك أن تعترف أنك كنت تعبث معى فى رحلة الريف ، لماذا جئت الى هنا اليوم ؟ .. لماذا كتبت الى أهلك ؟

ترنش : حسنا يا بلانش اذا كنت ستفقدين أعصابك فاننى ...

بلانش : ليس هذا هو الموضوع .. انك اعتمدت على الكتابة الى اسرتك لتتخلص من خطوبتى ، وقد ابدوا هم الموافقة ليتخلصوا منك ، انك لم تكن وضيعا الضعة الكافية لتبتعد عنا بعد هذه التمثيلية المحزنة .. ولا كنت رجلا الرجولة الكافية لتواجهنا بالحقيقة .. لقد فكرت فى أن تخلق العقبات وتقيم الصعاب ، وتعاكس وتشاكس وتناقض وتعاند ... حتى تضطرنى الى أن أنفجر وأفسخ الخطوبة بنفسى ... أن هذه ليست رجولة منك أن تضع المرأة موضع الخطأ ... لقد جعلتنى أفتح عينى لأرى حقارتك ووحشيتك وضعتك بما أبديته من موقفك المخزى ... لقد طعنت قلبي ومزقت كبريائى ولا يمكن . . .

ترنش : (مذهولا)

مهلا مهلا يا بلانش .. لو كنت أعلم أنك قادرة على توجيه هذه الألفاظ الجارحة لما حدثتك أبدا ، ولا تكلمت معك طول حياتى .. لا يمكن .

بلانش : انى لن أحدثك بعد اليوم فى حياتى . . ولا أحب أن أرى وجهك بعد الآن

(متجهة نحو الباب)

ترنش (مذعورا)

ماذا تريدين أن تفعلى ؟

بلانش : سأذهب لأحضر خطاباتك المغشوشة ، وأرد هدايـاك المسمومه ، سأعيدها كلها اليك ، وانا مسرورة بأنـــنى تخلصت منك وسأتخلص منك الى الأبد... اما الآن . .

(يدخل مستر سارتورياس ويقفل الباب خلفه)

سارتورياس : (مقاطعا بشدة) . . هش . . اسكتى يا بلانش . . انك تنسين نفسك . . ان البيت كله قد سمع صياحك . . ما الذى حدث ؟

بلانش : (وهى غير مهتمة بأن أحد سمعها أو لم يسمعها)

يحسن أن تسأله هو ان عنده اعتذارا عن قبول نقودنا ، ولا يأخذ منها شيئا .

سارتورياس : اعتذار؟ لأى سبب هذا الاعتذار ؟

بلانش : أنه يعتذر ليتحلل من خطبتى ويلقينى بعيدا عنه .

ترنش : أننى لم أفكر فى ذلك ولكن ...

بلانش : لقد فكرت ونفذت أفكارك .. أنك لم تفعل أكثر من هذا .

ترنش : (يصيح)

انى لم أفعل ذلك .

بلانش : (بصياح أشد)

انك لم تفعل الا ذلك . ولكنى لا أهتم لك . أنت كاذب ومنافق وقذر ووضيع و ...

سارتورياس : (يصيح بأعلى صوته)

كفى هل جننت يا بلانش ! ؟ أخرجى من هنا ودعينا وحدنا

(يفتح الباب وينادى)

مستر كوكين : هل تسمح بأن تنضم الينا هنا ؟

كوكين : (من حجرة التدخين)

انى حاضر حالا يا سيدى

(يظهر عند الباب)

بلانش : أنا ذاهبة لأنى لا أريد البقاء هنا ، وأرجو عندما أعود أن أجدك وحدك يا أبى .

(تخرج مارة بكوكين دون أن تنظر اليه ، فينظر وراءها فى دهشة ثم ينظر الى الرجلين متسائلا ، سارتورياس يقفل الباب بشدة ويلتفت نحو ترنش)

سارتورياس : (بحـــدة)

ماذا حـــدث يا سيدى ؟

ترنش : (بحدة أكثر)

ماذا حدث !؟ ألم تسمع بنفسك الشتائم والسب العلنى ؟!

كوكين : (يقف بينهما)

رفقا يـا بنى . مهلا يا هارى ، تـكلم بهدوء

سارتورياس : (مستجمعا شعوره)

اذا كان عندك شيء تقوله يا دكتور ترنش فقـل لى ما تريد فأنـا كلى آذان صاغية اليك ، واسمح لى بعد ذلك أن أرد على ما تقول .

ترنش : أنا آسف لمـا حدث وسأخبرك بمـا تريد .

سارتورياس : هل أفهم الموضوع على أنك ترفض تحقيق وعدك بخطوبة ابنتى ؟

ترنش : ان هذا لم يخطر لى على بال .. بل أن ما حدث هو عكس

ما تقول .. فان ابنتك هى التى رفضت تحقيق وعدها بقبول خطوبتى لها .. والنتيجة واحدة ، فقد فسخت خطوبتنا اذا كان هذا هـــو ما تريد أن تعرفه ...

سارتورياس : دكتور ترنش .. سأكون صريحا معك .. انى أعرف أن بلانش حادة الطبع سريعة التأثر وهذا جزء من شخصيتها القوية وعقلها الراجح واطلاعها الواسع وشجاعتها الأدبية التى لا أراها فى كثير من الرجال .. أؤكد ذلك ، لأننى الصق الناس بها ويجب أن تعد نفسك لهذا من الآن .. فاذا كانت هـذه المشاجرة بسبب ثورة نفسية من بلانش فأنى أعطيك وعدا بأن كل شىء سيكون على مايرام قبل مساء الغد ، ولـكننى فهمت مما قالته منذ لحظـة .. أنك تقيم العقبات من جهة النقود ...

ترنش : (وقد عادت اليه ثورته)

لقـــد كانت مس سارتورياس هى التى أثارت الصعاب .. أنا لا يهمنى المال فى كثير ولا قليل ولـكنها هى التى تعلق أهمية كبرى عليه ، وقد أبدت أنها لاتهـــتم بالمال من أجـلى .. ولـكن من أجل نفسها

كوكين : (مهدئا)

اسمع ياولدى العزيز . . يجب أن تكون طويل البال . . أن . .

ترنش : أمسك لسانك يابلى . . أن هذا ليس بالشىء الهين ، لقد كنت أتمنى ألا أرى وجه امرأة فى حياتى عن أن أسمع من هذه المرأة مثل هذا السب البذىء . . اسمع يامستر سارتورياس . . لقد افضيت لها بالأمر بمنتهى الدقه وبغاية الحذر دون ان اذكر لها اسبابى . . وكل ما رجوتها فيه هو أن تقنع بأن تعيش على ايرادى الخاص فاذابها تثور وتهيج وتعاملنى كحيوان كاسر ووحش مفترس

سارتورياس : تعيش على ايرادك الخاص ؟ ! هذا مستحيل . . أن ابنتى متعودة على حياةالبذخ والنعمه . . ألم أعدك بأن أمدكما بكل ما تحتاجان اليه من مال ؟ ألم تقل لك انى وعدتها بذلك ؟

ترنش : نعم . . أنا أعرف ذلك جيدا يامستر سارتورياس . . وأنا شاكر لك هذا الجميل . . ولكننى أفضل الا آخذ منك الا بلانش نفسها

سارتورياس : ولماذا لم تقل ذلك من قبل ؟

ترنش : لا يهم السبب . . دعنا لا نبحث هذه النقطة

سارتورياس : كيف لا يهم السبب ؟ انه يهمنى كثيرا وأنا مصر على أعرف الجواب على سؤالى . . لماذا لم تقل هذا الكلام من قبل ؟

ترنش : لم أكن أعرف من قبل ؟!!!

سارتورياس : (مهاجما)

كان يجب أن تعرف وأن تبحث مثل هذه النقطة الحيوية من قبل

ترنش : (مجروح الكبرياء)

تكلم أنت يا كوكين . هل هذا صحيح ؟ .. هل هذا كلام معقول؟ كيف يمكنني أن أعرف بحق الشيطان ؟ انك لم تخبرني من قبل .

سارتورياس : أنك تعبث معي يا سيدى .. أنك تقول أنني لم أخبرك من قبل بعزمي على مساعدة ابنتي و ...

ترنش : (مقاطعا) ... أنا لم أقل شيء عن هذا الموضوع . أنا أقول أنني لم أكن أعرف المصدر الذى تحصل منه على مالك.

سارتورياس : هذا غير صحيح أيضا يا سيدى .

كوكين : رفقا يا سيدى العزيز ... مهلا يا هارى ...

ترنش : اذن دعه يبدأ الكلام . ما الذى يقصده من مهاجمتي بهذه الطريقة ؟

سارتورياس : مستر كوكين . تحملنى أنت واستمع الى. الم أدقق فى هذه النقطة ؟ ألم أقل لك وأملى عليك فى الخطاب الذى كتبته لليدى

روكس ديل أنني رجل عصامي كونت نفسي بنفسي ، ولم أكن من قبل من الاثرياء ولا النبلاء وأنني لست خجلا من ذلك ؟

ترنش : أنني لا أتحدث عن النبل ولا عن الثراء ، ولكني اكتشفت فى هذا الصباح من مستخدمك الذى فصلته واسمه لكتشيز أن أرباحك ومالك وايرادك كله مجموع من التعساء والبؤساء والمخلوقات الضعيفة والمريضة ومن الذين لا يجدون القوت ، وأن هذا المال يبتز منهم ابتزازا ويجمع من أيديهم بالتهديد والوعيد ، وأن ما تعيش عليه من نعمة يقوم على دموع الفقراء وتأوهات المرضى والدعوات الصارخة للارامل والثاكلات . حتى أصبحت أعتقد أن من يلمس هذا المال يصيبه غضب الله وتقع على رأسه أوزار الدعوات الصادرة من قلوب المظلومين والانات المرتفعة من جروح المكلومين ،

أفهمت الآن يا مستر سارتورياس ؟

سارتورياس : (منفعلا بشدة)

وماذا ايضا ياسيدى ؟

كوكين : (بهدوء)

ولكن الايجارات يجب ان تدفع يا ولدى

سارتورياس : (مواجها لها بشجاعة)

اخشى يا دكتور ترنش ان أقول انك لا تفهم شيئا عن الأعمال التجارية ، وانك لم تعرف سوق المال والتجارة . ان يدك الناعمة لم تدر بها المعاملات ، ولم تجربها المبادلات ، فمعرفتك بأمور الحياة معرفة ضيقة معدودة سطحية . ولذلك كان من السهل ان تنطلى عليك هذه الأقوال الجوفاء والعبارات المنمقة والكلمات الضخمة التى تلهب المشاعر وتدمى القلوب . فهل لى ان ارجوك فى ان تعلق الحكم الذى اصدرته ضـــدى وان تستبعد المشاعر العاطفية حتى نناقش المنطق ونعرض للحجج ونفكر فى الأسباب .

(يجلس على كرسى ويشير الى ترنش ليجلس على كرسى عن يمينه)

كوكين : حسنا فعلت يا سيدى ، تعال يا هارى لنتفاهم . اجلس واستمع ولنفكر فى الأمر مليا وفى هدوء وحكمة ، ولكن اياك ان تكون عنيدا صلب الرأس .

ترنش : لا مانع عندى من الجلوس والانصات وان كنت لا اعرف كيف يمكن للانسان ان يجعل الأسود ابيض ، لقد سئمت من الكلام الملتوى الذى يضعنى دائما موضع المخطىء .

(يجلس كوكين وترينش عن يمين المستر سارتورياس . وتقترب رؤسهم بعضها من بعض كأنهم فى مؤتمر)

سارتورياس : اقول قبل ان ابدأ حديثى انك يا دكتور ترنش لست بأخصائى اجتماعى ولا بباحث فى شئون الرأى العام .

ترنش : بالتأكيد لا ... انا رجل محافظ .. هذا اذا اهتممت بالوقوف على مبدئى السياسى، وفى يوم الانتخاب اصوت مع المحافظ ضد زميله من حزب آخر

كوكين : هذا جميل ... هذا جميل .

سارتورياس : انا مسرور من اننا متفاهمون الى هنا... انا ايضا من حزب المحافظين ولكننى لست من ذوى العقليات الضيقة والافق المحدود مثل بعض المحافظين. ولا اعارض فى التقدم الحقيقى ولا النظرة الواسعة الى الحياة ولو جاءت من جانب الشيوعيون انفسهم ... اننا فى عصر نهضة وزمن تقدم وتطور وانقلاب شامل فى الفكر وثورة تامة فى الرأى . فلا حياة اليوم للتزمت ، ولا بقاء للمتزمتين ... ومع ذلك فاننى محافظ ومحافظ حقيقى اما من جهة لكتشين فلا اريد ان اذكر عنه اكثر من اننى طردته من خدمتى هذا الصباح لأنه خالف الثقة التى وضعتها فيه ولا يصح ان تقبلوا حديثه عنى كشهادة ضدى لأنه لا يمكن ان يظل صديقا او يبقى محبا بعد ان انقطعت منفعته منى ، اما عن اعمالى فهى ببساطة عبارة عن تقديم بيوت ومساكن متواضعة تتناسب مع ذوى الدخل المحدود من فقراء الناس الذين يبحثون

عن مأوى يأوون اليه ويفتشون عن سقف يستظلون بظله وجدران تستر عوراتهم . . اتظنون أنى أقدم لهم هذه البيوت كملاجىء ولا اتقاضى منهم عنها أجرا ؟ ... وهل اجرمت بهذا الكلام ؟ ... أو أتيت منكرا وزورا ؟

ترنش : هذا كلام جميل ... ولكن النقطة هى أى نوع من البيوت تقدم لهم ؟ ... انها بيوت لا نور فيها ولا ماء ولاصحة ولا هواء . . والعفن ينتشر فيها ، والصدأ يعلوها ، والميكروبات تشترك فى سكناها والفناء يجثم فوقها ، ورائحتها تزكم الأنوف ... انك تقدم لهم سما زعافا وموتا زؤاما . . يجب ان يعيش الناس فى مساكن تبقى على كرامتهم وتحفظ ماء وجوههم ، والا فليسكنوا الكهوف مثل الوحوش وليعيشوا فى الملاجىء والسجون ... انك تأخذ أموالهم نظير ما تقدمه لهم من فناء . . انك تهىء لهم السكنى فى مرافق الكلاب واصطبلات الخيول . . اذا كان لا بد من ان تكون مؤجرا للمساكن فلتكن مساكن آدمية يسكنها الناس لا البهائم ويقيم بها الاحياء لا الاموات . . ليكن قليل المال حلالا فانه خير من الكثير الحرام ...

سارتورياس : (وهو يبدى اشفاقه على براءته وسلامة نيته)

ياصديقى العزيز . . ان هؤلاء الفقراء لا يملكون ما يعيشون به فى المنازل على الاطلاق صحية كانت أو غير صحية ، بل انهم لا يعرفون

كيف تكون المعيشة فى المنازل التى يصح أن تسمى منازل .. انهم اذا اقاموا فى منازل مرتبة واماكن معدة حطموها فى اسبوع واحد .

انهم يختلسون الاخشاب ليستعملوها فى التدفئة ويخلعون الزجاج من النوافذ ليبيعوا الالواح الزجاجية ، ويفكون الصنابير والادوات الصحية لينفقوا ثمنها ... هل تشك فى كلامى ؟ تستطيع ان تجرب الامر بنفسك ... انى ارحب بأن تقوم بنفسك بتركيب الاكر والزجاج والصنابير والاغطية والاكوالين والاقفال والافاريز للابواب والشبابيك على نفقتك الخاصة وعد اليها بعد ثلاثة ايام .. فانك ستجدها مخلوعة ومحروقة ومنزوعة ومسروقة ... لن تبقى منها خشبة واحدة ... أنا لا ألوم الفقراء من الناس ، انهم فى حاجة الى دفء وفى حاجة الى مال مهما كان الطريق الى ذلك صعبا . ولكن ليس من العدل ان انفق جنيها وراء جنيه من اجل عمل الاصلاحات التى سرعان ما ستسلب وتتحطم بينما لا احصل فى المتوسط من الواحد منهم على اكثر من اربعة شلنات ونصف فى الاسبوع ايجارا للحجرة الكاملة وهو السعر المعروف بمنازل الفقراء فى لندن . لا ياحضرات السادة ... عندما يكون الناس فى فقر مدقع فانه لا حيلة لنا فى ذلك مهما كان شعورنا نحوهم وديا ، ومهما تألمت قلوبنا من اجلهم ... اننا ان حرمناهم نعمة السكنى فى مثل هذه البيوت فسوف

نسلبهم نعمة كبرى ، و ينعكس العطف فيصبح وبالا عليهم ... فيشردون فى الشوارع ويتضورون جوعا و يعيشون بلا مأوى ولا حماية .. اننى أفضل أن أقتصد مالا آخر فوق مالى لاقدم لهم ولامثالهم ممن لا مأوى لهم بيوتا أخرى غير هذه البيوت لتحميهم من التشرد والضياع ، فبصيص النور خير من العمى الكامل ..

(ينظر الى وجوههم و يشهد صمتهم و يرى أن تزينش غير مقتنع وكوكين مرتبك ... سارتورياس يقطب حاجبيه ويتقدم بكرسيه نحوهم للهجوم)

والآن يادكتور ترنش . أتسمح لى أن أسألك من أين تحصل على ايرادك ؟ !

ترنش : (متحديا)

من الارباح وفوائد المال لا من البيوت الحقيرة .. ان يدى نظيفة .. لاتمتد الا الى فوائد المال التى تؤخذ على الارض المؤجرة .

سارتورياس : (بعنف)

نعم .. ان الايجار واقع على أرض أملاكى نفسها فاذا كنت أنا ابتز وأسلب وأقسو لاستدر أموال هؤلاء الناس ، فأننى

لا أمس هذه الأموال قبل أن أدفع لك نصيبك من الفائدة على الارض المؤجرة المقامة عليها هذه المساكن . . وما فعله ليكتشينز من أجلى أفعله أنا من أجلك اننا وسطاء . . أنا وليكتشينز سواء بسواء . . وعلى ذلك فأن الامر كله يئول اليك وتكون أنت رأس الخطيئة فى الموضوع كله . انه بسبب المخاطرات التى اجريها مع سكانى من الفقراء تحصل انت على ارباحك ، وتجنى فوائدك وتقبض السبعة فى المائة التى تضطرنى لأن ادفعها لك بنفسا بنفسا الى آخر قطرة من اموالى . . ومع ذلك يادكتور ترنش تحكم على بأن يداى هما القذرتان ويدك وحدها هى النظيفة ونحن فى الجريمة سواسية . . انصح ان فى الامر جريمة .. ولو انتظرت حتى تعلم دقة العلاقه بينى وبينك فى هذا العمل لترددت فى توجيه عبارات الاحتقار الشديدة التى ملأت بها آذانى وآذان ابنتى عن الاموال التى تأتى بها .

كوكين : « يتنفس الصعداء »

مدهش ياسيدى العزيز ... هذا منطق ممتاز ... اننى شعرت بالغريزة — أن ترنش كان يقول قولا هراء ... دعنا نضرب صفحا عن الموضوع ياولدى العزيز .

ترنش (متشككا)

أتريد أن تقول أننا فى درجة واحدة من السوء وأننى لست

أحسن حالا منك ؟

كوكين : يا للعار ياهارى .. اعتذر للسيد خير لك

سارتورياس : اسمح لى يا مستر كوكين أن أقنعه

(متجها الى ترنش)

اذا كنت عندما تقول ان حالتى ليست أسوأ من حالتك .. تقصد أنك لا تستطيع أن تغير مصائر الناس ولا أن تبدل أنظمة المجتمع .. فانك لسوء الحظ على حق فيما تقول .

ترنش : (ينظر بعينين زائغتين نحو الارض وهو لا يدرى ما يقول)

هذا مريع .. !!!

كوكين (برقة)

هيا يا هارى .. هيا تمالك أعصابك .. إنك مدين بكلمة اعتذار للمستر سارتورياس .

ترنش (ينظر متبالدا ويفك أصابعه المتشابكة ويضع يديه على ركبتيه ويهب واقفا ويقطع الغرفة ذهابا وايابا ثم يلتفت نحو سارتورياس)

حسنا ... أظن أن الناس الذين يسكنون فى بيوت من زجاج لا يحق لهم أن يرموا الناس بالحجارة ولكن أقسم لك بشرفى أنني ما فكرت يوما فى أن بيتى من زجاج ، وانى أنال المال من وجه الخطيئة .. والا لما سامحت نفسى ولا رضيت بعيش منذ أن درجت على وجه البسيطة ... وأرجو منك أن تصفح عنى

(يمد يده اليه مصافحا)

سارتورياس : لا تقل شيئا أكثر من هذا يا هارى .. اننى مدين لك بهذا الشعور الجميل .. وانى أؤكد لك أنى أشعر بمثل شعورك ، وأتألم نفس ألمك ، وكل انسان له قلب يتمنى أن تتغير الأمور وتتحسن الأحوال، لكننا لسوء الحظ لا نملك من أمرنا شيء

ترنش : (وقد أحس ببعض العزاء)

أظن فعلا أننا لا نستطيع ..

كوكين : لا شك فى ذلك يا سيدى .. ان زيادة السكان زيادة فاحشة وتضخم التعداد فى كل عام عن الذى قبله هو سبب هذا البلاء

سارتورياس: (موجها الكلام الى ترنش)

أعتقد أنني قد أقنعتك الآن بأنك لست فى حاجة بعد ذلك لأن

تعارض فى أن تشاركنى بلانش ثروتى أكثر من أن أعارض أنا فى أن تشاركك هى ثروتك .

ترنش : (مكتئبا)

يبدو ذلك . . اننا كلنا فى الخطيئة سواء على ما يظهر . . وأرجو أن تسامحنى على كل هذه الضجه التى أثرتها والألم الذى سببته لك ولها .

سارتورياس : يكفى هذا والحمد لله أن الأمر قد مر بسلام واننى فى الواقع لأشكرلك حسن شعورك واحتفاظك بالسر وعدم شرح طبيعة الموضوع لبلانش . . اننى معجب بك فى هذا الموقف ياهارى وانه لمن الخير أن نكتم الأمر عنها حتى لا نؤذى شعورها . . فانها شديدة الحساسية كما قلت لك من قبل . . .

ترنش : (بقلق)

ولكن يجب ان أشرح الأمر لها . . الم تركيف كانت غاضبة وثائرة لأنى لم أوضح لها سبب عزوفى عن مالها ؟!

سارتورياس : يحسن بك ان تترك هذه المهمة لى

(ينظر فى ساعته ويدق الجرس)

ان الغداء قد اقترب موعده . . وفى أثناء استعدادكم له سأقابل بلانش . . وأرجو ان تكون نتيجة مقابلتى لها مرضية لنا جميعا .

(تحضر الوصيفة للاجابة على الجرس ويوجه اليها الكلام بلهجة الآمر التى تعرفها) قولى للآنسة بلانش أنى اريد رؤيتها ...

الوصيفة : (بوجه مقطب ... مترددة فى الذهاب)

نعم ياسيدى

سارتورياس : (مراجعا نفسه)

انتظـــرى ؟ ...

(تقـــف)

احملى تحيتى للآنسة بلانش وقـولى لها انى سأقابلها وحـدى دقيقـة واحدة هنا اذا لم تكـن مشغولة . .

الوصيفة :(وقد عاد وجهها الى حالته الطبيعية)

حاضر ياسيدى . .

(تخـرج)

سارتورياس : سأريكم حجرتكم هنـا . . يجب أن تعتبر نفسك فى بيتك هنـا ياهارى . . وانت أيضا يامستركوكين . . هيا بنا نذهب قبل أن تحضر بلانش .

(يتقـدم الطـريق نحـو البـاب)

كوكين : (مبتهجا وهو يتبعه)

ان هذه المناقشة الصغيرة التى دارت بيننا قد فتحت شهيتى للطعام .

ترنش : (بحـزن)

انها على العكس جعلتنى لا أميل الى أى طعـام .

(يخرج الصديقان ويبـقى سارتورياس ممسكا بأكرة الباب.. تعود الوصيفة الى الظهور)

سارتورياس : خيرا ... ؟ هل الآنسة بلانش آتية .

الوصيفة : أظن ذلك ياسيدى .

سارتورياس : انتظرى هنا حتى أوصل هذين السيدين ..وعندما تحضر .. قولى لها أننى سأعود بعد دقيقة واحدة .. اننى مضطر الى أن أوصل الدكتور ترنش الى حجرته .

الوصيفة : سمعا وطاعة يا سيدى .

(تدخل الحجرة ويذهب سارتورياس)

سارتورياس : (فى الخارج)
لا مؤاخذه كنت أقول كلمة للخادمة

(يذهبون بعيدا)

بلانش : (تدخل الحجرة وتلتفت حولها)

أيـن أبى ؟

الوصيفة : لقد ترك لك كلمة .. أنه سوف يعود فورا يا آنسة ..
أنا متأكدة أنه لن يتأخر .. ها هى الربطة .. أنها جاهزة يا آنستى

(تضع الربطة أمامها على المائدة)

هل أفك الطرد يا سيدتى ؟

بلانش : (هامسة) هل ذهبوا ؟

الوصيفة : لقد ذهب المستر ليكتشيز و ......

بلانش : (تصفعها على وجهها)

هل سألتك عن المستر ليكتشيز ايتها الحمارة ؟ ألا تعرفين من أقصد ؟
انك تتعمدين اغاظتى

الوصيفة : (تشهق باكية)

انهم منتظرون لتناول الغذاء .

بلانش : (تنظر اليها بحدة) وهو ؟

الوصيفة : (هامسة) وهو ايضا سينتظر ..

بلانش : (بسرعة) هش قومى من هنا

(يسمع صوت المستر سارتورياس وهو يكح . تخرج
الوصيفة مسرعة)

سارتورياس : ياعزيزتى بلانش .. الا تستطيعين ان تتحكمى فى اعصابك ؟ لقد سمعتك تضربين الخادمة

بلانش : اننى آسفة

(يبدو عليها الألم لما حدث منها)

سارتورياس : ولكن ياعزيزتى تذكرى اننا سوف نقابل الزائرين على مائدة الغذاء حالا .. لقد سبقتهم اليك لأقول لهم اننى قد انهيت هذا الاشكال الذى اثاره ترنش .. انه كان بعض الضرر والنحس الذى اصابنا من ليكمشيز .. ان ترينش ليس الا شابا صغيرا احمق .. ولكن كل شيء على مايرام الآن

بلانش : اننى يا ابى لا اريد ان أتزوج من هذا الاحمق

سارتورياس : اذا كان الأمر كذلك فيجب ان تختارى زوجا سنه فوق الأربعين ليكون قد تعدى دور الحماقة .. لا يمكن ان تتوقعى زوجا خيرا من هذا الشاب الجميل الاصيل .. صحيح انك ستكونين اغنى واذكى من زوجك ولكن هذا سيكون مدعاة لسرورى لا لألمى

بلانش : (ممسكة بذراعه) بابا

سارتورياس : نعم يا ابنتى

بلانش : هل لى ان افعل ما احب فى هذا الزواج أو افعل ما تحبه انت ؟

سارتورياس : (معاتبا)

اسمعي يا بلانش .. انني .. ..

بلانش : (مقاطعة) لا يا بابا .. اجبني اولا

سارتورياس : (وقد ترك حكمته وتغلبت عليه محبته وشفقته على ابنته)

لك ان تفعلي ما تريدين الآن ومدى الحياة كلها يا ابنتي المحبوبة .. لن افعل الا ما يرضيك !

بلانش : اذن .. فانني لن أتزوج .. لقد لعب معي لعبة حقيرة وسخيفة .. انني فهمت من كلامه انه يعتبر نفسه أرقى من مستوانا وهو يخجل منا ومن مالنا ويأبى على نفسه ان يمس بنسا منه .. بل انه قد استكثر علي ان يفسر لي السبب في خجله منا ومن مالنا بالرغم من استعطافي له وتوسلاتي اليه .. أصارحك يا أبي أنني أحببه وأحبه وحده ولم أشعر بحب من قبله لفتى سواه ولكنني لا أظنه يبادلني حبي والا لما ابدى لي احتقاره ولافضى الي بمكنون سره .. انني يا أبي أدوس على قلبي من أجل كرامتي ، وأضحي بحبي فداء لكبريائي وعزة نفسي .. انني لا أريده ولا اود ان أتركك .. فهل أنت في غنى عني ؟ هل تجبرني على ان اعيش معه ؟ أتوسل اليك ألا تتركني

(تمسك بيده تقبلها وتبللها بدموعها .. يدخل ترنش وكوكين ولكنها لاتراهما وتسترسل فى حديثها لأبيها)

اطرده ياأبى ولاتطردنى انا .. اتركه ياأبى لأننى لن أتركك !!

(ترى ترنش فتخبىء وجهها فى صدر ابيها وهى تبكى ثم تسرع خارجة)

سارتورياس : (بصراحة)

دكتور ترنش .. لقد غيرت ابنتى رأيها ..

ترنش : (متسائلا)

هل افهم من ذلك أن ...

كوكين :(محتجا)

هيا يا هارى . فتحت هذه الظروف لا يمكننا ان ننتظر ولنبحث عن غدائنا فى مكان آخر

ترنش : ولكن يا مستر ساتورياس .. هل شرحت لبلانش ما طلبت منى كتمانه عنها ووعدت بأن تتولى شرحه اليها بنفسك ؟!!

سارتورياس : (مواجها ترنش وجها لوجه)

لقد شرحت لها كل شىء يا سيدى .. مع السلامة .

الفصـــل الثـالث

المنظـــر

يرفع الستار عن حجرة الجلوس فى منزل سارتورياس فى ميدان بدفورد بلندن فى ليلة من ليالى الشتاء ـــ النار متقدة فى المدفأة ـــ الستائر مدلاة والنور الكهربائى مضىء ـــ سارتورياس وبلانش يجلسان بجوار النار تظهر الوصيفة مقدمة اقداح القهوة وتضعها على مائدة صغيرة بينهما فى وسط الحجرة مائدة كبيرة تنتشر عليها الازهار الطبيعية ـــ بين الشباكين بيانو وعلى الحائط صورة فوتوغرافية زيتية جميلة لبلانش فى وضع فاتن . وعلى البيانو اغطية وفازات ازهار تدل على ان البيانو لم يستعمل منذ زمن طويل .. يوجد بالحجرة بابان ، احدهما على اليسار يبعد قليلا عن المدفأة ويؤدى الى حجرة المكتب والآخر فى ركن قريب من الشباك الايمن يؤدى الى حجرة التدخين .. تجلس بلانش وبجانبها سلة صغيرة فاخرة .. تقوم بعمل بعض الثياب من اشغال الابرة . سارتورياس اقرب منها الى المدفأة وفى يده صحيفة يومية يطالعها ـــ تخرج الوصيفة .

سارتورياس : بلانش يا حبيبتى

بلانش : نعم يا أبى

سارتورياس : لقد تحدثت الى الطبيب اليـــوم حديثا طويلا بخصوص سفرنا الى الخارج

بلانش : (مستاءة)

ان صحتى على ما يرام .. ولا أريد السفر الى الخارج ، وقد سبق لى زيارة القارة الأوربية كلها وأكاد أعرفها بالتفصيل فلماذا تقلقنى على صحتى ؟

سارتورياس : ولماذا أخذت الحديث على أنه عن صحتك أنت ؟ قد يكون عن صحتى أنا

بلانش : (واقفـــة)

(أنت)

(تذهب اليه فى قلق)

طمنى يا أبى ... أرجو ألا يكون هناك ما يقلق صحتك ؟

سارتورياس : لا بد أن صحتى سيصيبها شىء يا بلانش . فقد مرت مدة وأنت حزينة مستسلمة لليأس . ومع ذلك لم تنقطعى عن التفكير يوما واحدا ... ان ذلك سوف يحطمنى . وكلما مر بك الدهر

اقتربت من الهرم ، وأخشى أن تقضى حياتك هكذا . مع أننى لا أعيش فى الدنيا الا من أجلك ، ولا أشق واجمع المال الا لاسعادك

بلانش : ولكن كل شيء انقضى .. وليس هناك ما يؤلمنى الآن .

سارتورياس : حسنا ياعزيزتى . . ولكن الطبيب يقول لا بد لك من السفر والفرار للترفيه عن نفسك وانعاش روحك

بلانش : انعاش روحى ؟

(تغرق فى الضحك وتجلس على الأرض فوق السجادة عند قدميه)

كيف اتفق يا ابى وانت الرجل المجرب اللبق الذى يشق طريقه فى الحياة بساعده ، قد فشلت فى انعاش روحى ومعالجة مطالبى واسرعت فى الاستسلام الى بغير أن تعرف ما يضرنى وما ينفعنى انك تحاول ادخال السرور على نفسى الآن بعد أن أفلت الأمر من يدك لتذهب عنى ما اصابنى من خيبة الامل كانى مريضة وانت الوصيف مع انك المريض وأنا الوصيفة !!

سارتورياس : حسنا .. اذا كنت تعتقدين هذا يا بلانش وأنك بخير ولا حاجة لك فى التسرية عن روحك والترفيه عن نفسك . . فأننى احب ان اكون أنا المريض وانت الوصيفة .. ودوائى الوحيد يا فتاتى ان أراك سعيدة .. ولا داعى هناك للسفر ولا للف والدوارن

مادمت سعيدة بجانبي قانعة بوجودك الى جوارى حتى لا يعذبنى ضميرى من أجلك .. اسمعى يا بلانش ... ان الحياة تحتاج الى مرونة و ...

بلانش : (تفهم قصده بسرعة وتقاطعه متجهمة)

انك لم تعودنى على المرونة ياوالدى .. فأنت نفسك لاتشجع المرونة بل كنت دائما تفرض رأيك على كل من يعمل معك .. واذا اقتنعت بشيء فانك تنفذه بغير مناقشة ... أليس كذلك ؟

سارتورياس : ولكنك أنت أوسع منى أفقا وأكثر اطلاعا وأكبر ثقافة ... لقد حصلت وأنت صغيرة السن على أرقى الشهادات فلماذا لا تكونين أشد مرونة وأوسع عقلا من رجال الأعمال والتجارة أمثالى ؟

بلانش : أنا أعرف ماتريد أن تقوله من هذه المقدمات الطويلة يا أبي ... فأقسم لك أن الدكتور ترنش لو جاءنى الآن وركع على قدميه وطلب يدى مرة أخرى فاننى سأطرده ولن أقبل منه كلمة واحدة

سارتورياس : ولم كل هذا يا ابنتى ؟ انه لم يجن ذنبا ولم يرتكب اثما .. إن كل ماقاله انه

بلانش : أنا أعرف جيدا ما قاله وانت لم تسمع من حديثه لى شيئا .. لقد استعطفته ورجوته وتوسلت اليه .. فكان رأسه صلبا

لا يلين .. صحيح انه لم يقل شيئا ، ولكنه كان يتكلم بلهجة العاتى المستبد . كنت أرى فى عينيه انه يرى فينا نقيصة لا يريد أن يذكرها ويكتم أمرها عني .. فلما علمت انه لا يكتم شيئا عرفت السر الذى دفعه الى ذلك .. فهو يظن نفسه من النبلاء ، ويرى اننا من السوقه والدهماء .. انه محافظ وعقليته عتيقة رجعية يتمسك بنظام الطبقات ويعتقد فى الدماء الزرقاء ويرى الناس فيهم العالى والوضيع والحقير والرفيع .. وهذه عقيدة عفا عليها الزمان .. فالناس أمام الله سواسية وهم فى نظر القانون سواء .. لا فرق بين رجل ورجل ولا بين امرأة وامرأة .. انت رجل من الشعب كونت نفسك بنفسك وبنيت مستقبلك بيديك . تكد وتكدح من أجل المال حتى نجحت وصرت من رجال الاعمال . فما الذى يعيبنا وما الشيء الذى يضيرك ؟

أما هو فانه نبيل متغطرس لا يعتبر نفسه من الشعب ، وأنا لا أرضى الذل يا أبى .

سارتورياس : انك لم تفهمى الأمر على حقيقته يا ابنتى ، فاسمحى لى أن أشرح لك وان كان الشرح سيجعلنى حقيرا فى نظرك ... ان ما حدث هو ...

بلانش (تقاطعه)

لا أريد أن أعرف يا أبى . ولا أريد أن تحدثنى فى هـذا الأمر بعد ذلك . والا فانك سترانى جثة هامدة . ان كنت تحبنى حقيقة . .

(تدخل الوصيفة مسرعة)

الوصيفة : من فضلك ياسيدى مستر ليكتشيز يريد أن يراك فى أمر خاص . أنه يقول ان الامر هام جدا ، وأنه يهمك أنت أكثر منه .

سارتورياس : مستر ليكتشيز هل تقصدين ليكتشيز الذى كان مستخدما عندى ؟

الوصيفة : نعم يا سيدى . انه هو بعينه . ولكنك اذا رأيته الآن لا تكاد تعرفه

سارتورياس : (مقطبا)

أظن انه يموت جوعا .اليس كذلك ؟ لا بد أنه جاء ليشحذ شيئا

الوصيفة : (تحاول ان تنزع هذه الفكرة عنه)

اوه . لا يا سيدى . لقد أصبح جنتلمانا عظيما . انه يلبس معطفا فاخرا من الصوف وساعة ذهبية و نظارة غالية الثمن وهو حليق الذقن . لابد انه حصل على كنز

سارتورياس : عجيب جدا . أدخليه الى هنا

(يدخل لكتشيز فيبدو فى مظهر فاخر يدهش العقل . . يلبس

بدلة السهرة وعليها معطف صوفى حوله فراء فاخر وقيص به أزرار من الماس وعلى رأسه قبعة حريرية وفى يده ساعة ذهبيـة جميلة ..

(يحملق سارتورياس فى وجهه)

سارتورياس : (لا يكاد يمسك أنفاسه من الدهشة)

حسنـــا ؟

ليكتشين : حسن جدا ياسارتورياس

سارتورياس : انى لا أسألك عن صحتك ياسيدى كما تعلم .. انما اسألك عن العمل الذى جئت من أجله .. أى عمـل هـو ؟

ليكتشين : انى لن أذكرلك العمل الذى جئت من أجله الا اذا قوبلت بأدب أكثر من هذا ياسارتورياس ، انى لأكلمك الآن كرجل أمام رجل ... لقد مضى عهد الظلم والعبودية لقد كان المال وحده هو الذى يرفعك عنى، ولكنى الآن أكثر منك مالا .. فعليك أن تكلمنى كما أكلمك فى منتهى الاحترام.

سارتورياس : (هاجما عليه يدفعه نحو البـــاب)

اذا كنت تريد أن تكلمنى بلهجة السيادة فاخرج من بيتى واجعل من نفسك سيدا فى الشارع لا هنا .

لكتشين (بتؤدة)

اسمع يا سارتورياس ، لا تكن متسرعا لقد جئت لك ناصحا لاحدثك عن موضوع هام يخص املاكك وثروتك ان الأمر فيه مال كثير لك ، ألا تريد أن تسمعه ؟

سارتورياس : (مترددا .. وأخيرا يقفل الباب ويصغى اليه بحذر)

أى مال وأية ثروه ؟

ليكتشين (يدخل منتصرا ويقترب من الكرسى الذى كانت تجلس عليه بلانش ويخلع معطفه)

الا تدعونى للجلوس لأتحدث اليك وأنا مرتاح البال ؟

سارتورياس : (يعود بعد أن أقفل الباب)

انى أريد أن أجرك من رقبتك وأدعوك لألقيك فى أسفل الدرج ... ماكل هذه المقدمات ؟... ماذا تريد ؟

ليكتشين : (يجلس ويخرج علبة السجاير من جيبه)

انى متعادل معك تماما يا سارتورياس الآن .. هل تدخن سيجارة؟

لا تدخن هنا .. هذه حجرة ابنتى .

ليكتشين : لقد تحسنت أحوالى كثيرا عما كانت عليه عندما كنت معك أخيرا

سارتورياس : هذا ظاهر ظاهر جدا جدا .

ليكتشيز : انني مدين ببعض هذا اليك .. هل سيدهشك أن أقول ذلك ؟

سارتورياس : انني لا شأن لى بك .

ليكتشيز : هذا ما تظن يا سارتورياس لأنه لم يكن يهمك مني الا ان ابتز لك الأموال ... لقد اقترضت مالا واشتريت به بيتا فى شارع روبنز من نفس البيوت الوضيعة التى تملك مثلها .. وسددت قرضى ثم اشتريت الثانى والثالث . ولكنك كنت صاحب الفضل اذ علمتنى طريقة جمع المال وتعرفت بارشادك على الطبقات الكادحة وعلى مجموعات منهم واقتنيت ثروة جعلتنى أعيش فى أرغد عيش . . ولكن لقد قامت هناك ضجة تثير الغبار حولنا جميعا وتهدد سمعة جميع المستغلين للفقراء من الساكنين . لقد ألفت لجنة برلمانية لبحث الموضوع بأمر ملكى وهى ...

سارتورياس : (مقاطعا)

آه .. فهمت ، أظنك قد ادليت فيها بشهادتك ضدى

لكتشيز : شهادتى ؟ لست انا الذى يفعل ذلك ...

سارتورياس : ولم لا ؟ السـت انت الذى تطوعت بشهادتك عند خطيب ابنتى وشوهت سمعتى وسوأت موقفى واظهرتنى كأنى لص يسرق اموال الناس ، وجلاد يلهب ظهور الفقراء بالكرابيج ؟

لكتشيز : لقد كنت ادافع عن نفسى واشرح له صعوبة مهنتى وما لقيته من جزاء على جهودى يوم طردتنى من عندك طرد الكلاب

سارتورياس : على كل حال .. ماذا تريد ان تقول الآن ؟ فليس لمثلى ان يعاتب حقيرا مثلك .

ليكتشيز : ان ما حدث أن هذه اللجنة وضعت تقريرا ضافيا عن بحوثها فى موضوع المساكن الحقيرة التى سمتها «بيوت الأرامل» فى كتاب أزرق وقد احضرت لك نسخة منه

(ينهض واقفا ويقلب ليخرج من جيبه الكتاب)

وقد طويت جزءا من الصفحة التى جاء فيها اسمك واسمى .. ومن الخير ان تقرأ ما جاء فيها

(يسلم الكتاب الى سارتورياس)

سارتورياس : اذن لقد جئت لتتشفى فيما حدث لى .. أليس كذلك؟

(يأخذ الكتاب منه ويرميه على الأرض بشدة ولا ينظر اليه)

أنا لا يهمنى ان يذكر اسمى فى كتب زرقاء أو حمراء .. ان أصدقائى لا يقرءون مثل هذه الكتب . ولا يهمنى ان تكون سمعتى طيبة أو رديئة فى المجتمعات . انى لست عضوا فى مجلس الوزراء ولا نائبا فى مجلس

العموم . انهم لا يمكنهم ان يتخلصوا منى مهما فعلوا لعلك قد جعلت من نفسك اداة للتشنيع على ؟

ليكتشير (وقد هزه هذا الاتهام)
اوه — يامستر سارتورياس . انى لست من الضعة الى هـذا الحد . لقد أكلت خبزك وتاسمتك حلو الحياة ومرها ... لا . لا . لاتظن ذلك بى وفوق هذا فانهم يعرفون كل شىء عنك أكثر معا أعرف أنا ، لقد علموا حتى بالخلاف الذى حدث بينى و بينك . لقد كان ذلك القسيس اللعين هو الذى أثار كل هذه الضجة .

لقد ذكر للجنة قصة النساء اللواتى أصلحنا لهن السلم .. وقال انك فصلتنى من خدمتك من أجل هذا الاصلاح الطفيف الذى لم يتكلف الا جنيها واحدا و بضعة شلنات .. ووضع هذه القصة فى صورة شنيعة . ما كنت أحب ان يكون هذا القسيس معارضا لنا مهما تكلفنا الأمر

سارتورياس : دعنا من هذه السفسطة .. وقل لى ما الذى جئت من أجله ؟ اخرج ما عندك .

ليكتشير : (يبتسم وينظر اليه فى جد)
انك لم تنفق أموالا كثيرة فى اصلاحات منذ تركتك حتى الآن .

والآن انتبه الى جيدا انا اعرف مالكا لبعض المنازل القذرة التى هى اشبه بمأوى الغربان ومساكن البوم منها بالبيوت على مقربة من برج لندن نصحته بان يقوم باصلاح نصف بيوته ويجعلها على احــــدث طراز وان يؤجر نصفها الآخر الى شركة شمال التيمز للحوم البارده وهى التى املك بعض اسهمها .. وماذا كانت النتيجة ؟

سارتورياس : تحطمت كل الاصلاحات على ما اظن ؟

لكتشين : تحطمت ؟ ولا شعرة منها .. بل حصل صاحبها على التعويضات يا مستر سارتورياس .. اتفهم التعويضات ؟

سارتورياس : ولماذا التعويضات ؟

لكتشين . لماذا ؟ !! ان المساكن المستصلحة اجرت لدار ضرب النقود وسك العملة ، وسرعان ما طلبت الدار عمل امتداد لمصانعها واستولت على الجزء الحقير الذى استأجرته الشركة لمواجهة الامتداد ودفعت تعويضات سخية عن كل شبر من الارض استولت عليه بما فيه من مبان .. وهدمت المبانى وأقامت مكانها المصانع .. وعاد الربح الطائل على جميع المساهمين .. فهمت الآن السر فيما ألبس من الذهب وفى هذه الازرار المرصعة بالماس ؟ ان الذى يعمل فى السوق ويندس فى المجتمعات يعرف جيدا مواطن الربح فيسعى اليها ويجرى وراءها .. انى اعرف طريق صفقات جديدة

سارتورياس : (وقد شغفه الحديث) حسنا

ليكتشيز : والآن لنفرض انى وقفت على صفقة مماثلة بل أحسن منها ، وهى أن المجلس البلدى يريد أن يشق شارعا وينزع ملكية المساكن الحقيرة التى فى شارع روبنز وفى ممر باركى ويدفع عنها تعويضات هائلة ... اتدرى كم ؟ ثلاثين جنيها عن كل قدم !! الا تقابلنى باحترام عندما أحمل اليك هذا النبأ وتقوم واقفا أمامى بأدب اذا دخلت عليك الغرفة ؟

(سارتورياس يبتسم وينظر اليه فى شك)

ألا تصدقنى يامستر سارتورياس ؟ اتظن أنى قد جئتك عبثا ؟ ألا ترى آثار الغنى والنعمة على انى لم أصل الى هذه الدرجة الا لأنى أسير فى المجتمعات وآذانى متفتحة وأعينى متيقظة (تدخل بلانش تتبعها الوصيفة وهى تحمل صينية فضية تجمع عليها فناجين القهوة الفارغة ..سارتورياس متململا من المقاطعة .. ينهض ويجر ليكتشيز الى باب حجرة المكتب)

سارتورياس : (بصوت منخفض)

هش ! يجب أن نتحدث فى هذا الموضوع فى حجرة المكتب . أن المدفأة فيها نار جميلة وتستطيع أن تدخن كما تشاء

(يرفع صوته)

بلانش : هذا صديق قديم من اصدقائنا

ليكتشيز : نعم لقد كانت عطوفة على .. اتمنى ان اراك فى أسعد الاحوال يا آنسة بلانش

بلانش : يا إلهى !! هذا المستر ليكتشيز .. لم أكد اعرفه فى هذه الملابس الفاخرة

ليكتشيز : لقد تغيرت انت قيلا أيضا يا آنسة

بلانش : (بسرعة) اوره ... انى كما انا لم اتغير طول عمرى .. كيف حال مدام ليكتشيز وجميع الـ ...

سارتورياس : (مقاطعا)

ان عندنا اعمال هامة نريد مناقشتها .. يمكنك ان تتحدثى الى المستر ليكتشيز فيما بعد يا بلانش

(ينظر الى ليكتشيز بحماسة)

هيا .. ليس لدينا وقت لنضيعه

« يخرج سارتورياس مع ليكتشيز ويذهبان الى حجرة المكتب تدهش بلانش لما يبدو على والدها من اهتمام وتحمس ، فتهز كتفيها

وتتركهما وتدخل الى الحجـــرة ... عندئذ ترى معطف لكتشنز الفاخر على كرسيها فترفعه مسرورة وتنظر معجبة الى الفراء الغالية التى تزينه »

الوصيفة : مدهش ياسيدتى ، أليس كذلك ؟ انى اعتقد ان المستر لكتشنز قد عثر على كنز والا فمن اين له كل هذه الملابس الفخمـــة ؟

ولا ادرى ما الذى يريده من سيدى يا آنسة ... لقد احضر له معه هذا الكتاب الازرق اللون ... فاخذه منه سيدى ورماه على الارض

بلانش : كتاب ازرق ؟ دعيني اراه

« ترفع الكتاب من الارض وتفتحه فتجد به ورقة معلمة ... تقلب الكتاب عند هذه الورقة »

ان اسم ابى مكتوب فيه وكذلك اســم المستر لكتشنز ... انتظرى حتى اقرأ ماجاء به عنها « تضطجـــع فى الكرسى وتبدأ القراءة ثم تنغمس فيها حتى تنسى نفسها وتقرأ جزءا كبيرا من الكتاب »

الوصيفة : « تطوى مائدة الشاى و تبعدها عن الطريق »

انه يبدو اصغر سنا مما كان عليه عندنا ... اننى لم اتمالك نفسى من الضحك عندما رأيته حليق الذقن والشارب وشاهدت القبعة الحريرية تلمع فوق رأسه

« بلانش منغمسة فى القراءة فلا تجيب عليها »

انك لم تتمى قهوتك ياسيدتى ... هل آخذ الفنجان ؟

« لاجـــواب »

أوه ... انك منهمكة فى قراءة كتاب المستر لكتشيز ....

« تخرج الوصيفة »

بلانش : « تهب واقفة وقد علا وجهها الاصفرار »

اذن كان هذا هو السبب الذى من اجله رفض ترنش ان يمس مالى .. لقد ظلمت المسكين ورميته بالخيانة والغرور ... انهم يقولون عن ابى مؤجر القاذورات ومالك الخرابات وسارق الفقراء ومستغل حاجة المحتاجين ، لقد جعلوا من بيوته نكتة وقالوا انها « بيوت الارامل والايتام » ويل لهذا القسيس السافل الوضيع ... بل ويل لى انا وليتنى ماخرجت الى الحياة ابدا .. لقد ماتت امى واستراحت وتركتنى وحدى لعذاب الضمير .... ما احقرنا فى نظر المجتمع ... كنت اتمنى الا يكون لى أب ابدا

« تغطى وجهها بيديها وتنفجر فى بكاء شديد تسمع صوت لكتشيز قادما فتجرى مسرعة وتخرج من الباب الثانى للحجرة وهى تجفف دموعها وتشهق فى بكائها »

لكتشيز : « من بعيد »

انتظر خمس دقائق وانا احضره لك ....

« يدخلان الحجرة »

سارتورياس : اين بلانش ؟

بلانش : « تجيب من الخارج وتدخل مرتبكة وتجلس على الكرسى الموضوع على ظهره معطف لكتشيز ، تأخذ شغل الابرة وتشتغل فى صمت دون النظر الى الرجلين »

انى هنا ...

ليكتشيز : (متجها نحو بلانش)

عن أذنك يا آنسة بلانش

(ياخذ معطفه من على ظهر الكرسى) .

بلانش : (واقفة)

لا تؤاخذنى . أرجو ألا أكون قد أتلفت المعطف الجديد.

لـكتشيز : (وهـــو يلبس المعطف)

انه تحت أمرك يا آنسة .. لا تقولى لى مساء الخير لأننى سأعـود ثانية بعد قليل مـــع صديق أو صديقين . . لن أتـأخر عليك طويلا يا سارتورياس .

(يدخل سارتورياس يبحث عن الكتاب الأزرق)

بلانش : كنت أظن أننـا قد انتهينا من لـكتشيز ؟

سارتورياس : لم ننته منه بعد على ما أظن . لقد ترك هنا كتابا له جلدة زرقاء .. هل أخذته الخادمة من هنـا ؟

(يبحث عنه فيراه موضوعا على المدفأة .. ينظر الى بلانش)

هـــل قرأت ما جاء به .

بلانش : (بغضب)

نعم ... وما الذى يعنينى منه ؟

سارتورياس : (يلتقط الكتاب وينفض التراب الذى عليه،ثم يجلس ليقرأه .. و بعد نظرة قصيرة فيه يومىء برأسه ويقفله كأنه قد وجد فيه ما يتوقعه بالضبط)

انه لأمر عجيب يا بلانش ... أن اللجان البرلمانية التى تضع التقارير وتكتب مثل هذه الكتب مؤلفة من أشخاص جهـــلة

لا يعرفون شيئا عن الحياة الواقعية والأعمال الحقيقية ويخيل الى من يقرأ هذه الكتب أنني وأنت نكون زوجا من الرأسماليين الجشعين والمستغلين القاسين الذين لا رحمة لديهم ولا ضمير عندهم ...

بلانش : ولكن .. أليست هذه حقيقة .. !! أقصد بالنسبة الى المساكن التي نملكها ؟

سارتورياس : (بهـــدوء)

أنها الحقيقة وان كانت مرة !!

بلانش : ولكن هل نحن المخطئون ؟ !

سارتورياس · يا عزيزتي ... اننا اذا أجرينا فيها التحسينات الواجبة لارتفع الايجار ولأصبح عبئا ثقيلا على الفقراء وما أسرع ما يعجزون عن السداد فيشردون الى الشوارع ...

بلانش : وما هو المانع في أن تخرجهم الى الشوارع وتحل محلهم سكانا محترمين يحفظون المساكن وتحفظهم المساكن ؟ لماذا نتحمل وحدنا عار اسكان هذا الجيش الجرار من التعساء ؟

سارتورياس : (محملقا في وجهها)

ولكن ألا تكون تلك قسوة عليهم ؟

بلانش : ليس في الامر قسوة ، بل انك تسيء الى سمعة نفسك

بغير داع يا أبى .. انك تشتغل فى التجارة وفى أعمـــال المال لا فى الملاجىء .. والدور التى تجمع العجزة والمشردين ... وحتى لو كانت هذه المساكن القذرة تدر علينا أرباحا اكثر .. فان ذلك لا يساوى شيئا الى جانب السمعة السيئة التى تلوث اسمنا و تلطخ سمعتنا ..

سارتورياس : (ببرود وشىء من الخجل)

حسنا .. لقد جعلت منك سيدة حقيقية يا بلانش ... !!

بلانش : (متضاحـــكة)

وهل انت نادم على ذلك ؟

سارتورياس : لا يا ابنتى .. بالطبع لا .. ولـكن هل تعلمين أن أمى كانت فقيرة وانها ربتنى فقيرا واننا قد قاسينا كثيرا من الفقر والحاجة ؟ !!

بلانش : أنا شخصيا .. أعتقد أن الفقر مع الشرف هو خير ألف مرة من الغنى مع العار

سارتورياس : (وقد استشاط غضبا)

ومن الذى يسبب لك العار يا آنسة ؟ أهو أنا ؟! انا الذى قضيت شبابى وأفنيت زهرة عمرى فى سبيل جمع الثروة واستثمار المال لاوفر لك حياة ناعمة رغدة سعيدة

بلانش · انى أشكرك على ذلك يا أبى .. بل انى ما كنت أحبك لو أنك لم تفعل ذلك .. ولكننى متألمة لأن نكون هدفا لمثل هذه الحملات الظالمة !! ... ومن الذى أدرى ترنش بقصة هذه البيوت والضجة التى تقوم حولها ؟

سارتورياس : لقد تصادف عند دخوله انى فصلت ليكتشيز من عمله فشكى اليه ما حدث وما يصادفه من متاعب فى جمع الايجارات ووصف له السكان وما يعانونه من فقر واحتياج وهو لبراءته وطهارة نفسه اعتبر أن المال المجموع عن هذا الطريق هو مال حرام ولذلك فقد حاول أن يقنعك بأن تعيشا على ايراده وحده دون أن ينال منى مساعدة

بلانش : انه محق فى ظنه .. وأنا أؤيده فى هذا الاعتقاد، ولكن لماذا لم يذكر لى هذا السبب المعقول رغم الحاحى عليه واستعطافى له

سارتورياس : لقد منعه حياؤه من ذلك

بلانش : وكيف عرفت هذه الحقيقة يا أبى ؟

سارتوورياس : لقد صارحنى بكل شيء ، وشكرته لأنه تحمل الاهانة منك دون أن يحاول جرح شعورك وافتدى كبرياءك بنفسه وروحه ... اذ فضل أن يتحمل الشتائم والسباب ولا يعرضك للأسى والآلام ... ولم يحاول الدفاع عن نفسه واكثر من هذا ...

بلانش : وأى شيء أكثر من هذا ...؟ لقد ظلمت الرجل ظلما فاحشا بغير ان أعلم .

سارتورياس : انه طلب منى ان أبلغك سبب امتناعه عن اجابة طلبك بقبول مالى ، وكتمانه لهذا السبب من أجلك .. فوعدت بابلاغك ذلك .. ولكنى لم أفعل حتى كشف الأمر لك باطلاعك الليلة على الكتاب الازرق

بلانش : ولماذا لم تواجهنى بالحقيقة ؟

سارتورياس : وهل تريدين ان أكون أقل حنانا عليك من ترنش؟.. انى مافعلت ذلك إلا إشفاقا عليك .. فكنت أتمنى ان اجنبك كل ألم وأحاول ان أبعد عنك كل ما يؤذى شعورك .. وها انت قد عرفت كل شيء بعد أن فات الاوان ... وعلى كل حال يا ابنتى فاننا لن نتشاجر من أجل هذا الامر بعد اليوم .. فقد صممت فى نفسى ان ادخل جميع التحسينات اللازمة فى المساكن التى املكها لأجعلها على أحدث طراز مهما كلفنى الأمر ... والآن .. هل أنت راضية عنى بذلك انى منتظر فقط موافقة مالكة الأرض .

بلانش : ومن هى مالكة الأرض ؟

سارتورياس : انها الليدى روكس ديل

بلانش : ليدى روكس ديل !!!

سارتورياس : نعم .. وهناك مشروع آخر بتسليم البيوت الهامة الاخرى فى شارع روبنز وطريق باركى للمنافع العامة للمجلس البلدى والحصول منه على تعويضات مجزية ، وهو الذى يعرضه على ليكتشين الليلة ، وبذلك نتخلص من البيوت إلى الأبد .. لكن نفاذ هذا المشروع ايضا يتوقف على موافقة الراهن ومؤجر الارض المقامة عليها المساكن .

بلانش : أى مؤجر تقصد ؟

سارتورياس : مؤجر ارض هذه المساكن الذى ندفع له قيمة أسهمها وربحها السنوى وهو الدكتور ترنش .

بلانش : وهل ذهب ليكتشين ليدعوه للحضور الى المنزل ؟

سارتورياس : نعم دعوة عمل فقط .. لأعرض عليه المشروع .. فاذا وافق أن يشاركنى فيه ويخاطر معى فى التقدم الى المجلس البلدى لاستعماله للمنافع العامة - استطعنا ان نجعل الامور كلها تهدأ وتستقر وتسير على مايرام .. ويمكنك ألا تقابليه اطلاقا اذا كنت لا ترغبين فى ذلك ، أو كنت تخشين لقاءه .

بلانش : (مقاطعة)

أخاف لقاءه ... ولماذ أخاف لقاءه ؟

سارتورياس : اذن يحسن ان تقابليه وتحييه ، وعندما نبدأ نحن في حديث العمل تتركينا انت وتنصرفين .

ليكتشين : (يسمع صوت ليكتشين وهو يقود القادمين الى الطريق) من هنا ياسيدى . . الا تعرف الطريق ؟ كأنك لم تره من قبل ...

بلانش : ها هم قادمون يا أبى ... لا تقل انى كنت هنا

(تندفع مسرعه الى حجرة المكتب .... يدخل ليكتشين ومعه ترنش وكوكين وكلاهما فى ثياب السهرة)

سارتورياس : يصافح كوكين أما ترينش الذى يبدو أنه لا يزال مغضبا ومتأثرا لخيبة الأمل التى لحقته فينحنى انحناء خفيفة وليكتشين يغطى هذا الموقف الفاتر بضحكاته وكثرة حديثه)

ليكتشين : ها قد وصلنا أخيرا ، والتقينا جميعا كمجموعة من الصحاب والأحباب كأننا حول كنيسة سانت بول ... هل تذكرها يا مستر كوكين ؟ ان المستر كوكين يتفضل على بأعمال السكرتارية يا مستر سارتورياس..ان له أسلوبا أدبيا رائعا ، أما أنا فلاأستطيع أن أكتب حتى خطابات الغرام التى ليس فيها الا أحاديث العشق والهيام..وهو الذى ينظم مكاتباتى ويسطر خطاباتى ويكتب اعلاناتى التى أنشرها فى مختلف المناسبات بالصحف والمجلات .. الست تقوم

بذلك كله يا مستر كوكين ؟ وأهم من ذلك يا مستر سارتورياس ...أنه استطاع أن يقنع صديقه القديم الدكتور تريندش بالحضور معي للتحدث في الموضوع الذي كنا نتكلم فيه معا منذ لحظة مضت ... وكان يغريه بالموافقة عليه ويقول ...

كوكين : (مقاطعا)

أغريه ؟ لا يا ليكتشيز .. ان المسألة مسألة مبدأ

(يجلسان ويجلس الى يمينهما ليكتشيز وأمامهما سارتورياس)

ليكتشيز : انها ليست مبدأ .. ولكنها واجب

تريندش : أنا لا أشعر أنها واجبي الآن أكثر مما كانت من بضعة أشهر مضت .

كوكين : يا للعار يا تريندش ..!!

ترنش : اخرس .... أيها المجنون

ليكتشيز : (يهب كوكين واقفا) ممسكا بردائه اذ رآه يقفز واقفا بغضب)

مهلا يا حضرة السكرتير مهلا ... أنه يمزح

كوكين : أنه مزاح سخيف ... يجب ان يسحب هذه الكلمة .

ترنش : لن أحبها ... انك حقيقة مجنون

كوكين : وأنت يا سيدى أكبر معتوه

ترنش : خلاص ... انتهينا ... خالصين

(يجلس كوكين مزمجرا)

أن ما أعنيه هو ما يلى:

ان الايجارات لا علاقة لها بالموضوع الذى نبحثه . ان ما فهمته مما تعرضونه على ، أن شارع روبنز سيهدم ويضم للمنافع العامة . فاذا تم الاتفاق فسيعقب ذلك مباشرة المطالبة بالتعويضات

ليكتشيز : بالضبط هذا هو الموضوع يا دكتور ترنش ... شارع روبنز وممر باركى

ترنش : ويظهر أنه كلما كانت المنازل أقذر كان ايرادها أكبر وكلما كانت أنظف كانت تعويضاتها أكثر ...

سارتورياس : أنا لا اعبر عنها على النحو ، ولكن ...

كوكين : ان المعنى صحيح . ولكن هى قلة ذوق فى التعبير

ليكتشيز : هش . لا نريد أن نعود مرة اخرى الى المشاجرة

سارتورياس: انى لست متفقا معك فى هذا الكلام يامستر كوكين

... ان الدكتور ترينش صريح ويتكلم بمنتهى الصدق ، وان كان هذا الكلام لا يناسب رجال الأعمال ... اننا نعيش فى عصر التطور والسرعة وأصبحت الافكار التحررية هى التى تسود كل مجتمع وأصبح رجل الشارع ينظر الى الأمور بأفق واسع وتفكير اكثر مرونة ... فلندع الدكتور ترينش يعبر عن نفسه بمنتهى الصراحة والحرية ... ولكن النتيجة العملية التى سنتوصل اليها هى أنه ليس من العدل وأملاكنا على ما هى عليه أن نطالب بتعويضات باهظة تحت الظروف الراهنة

ليكتشيز : بالطبع لا ... وحتى اذا ماطالبت فانك لن تجاب الى طلبك ... اصغ الى جيدا يادكتور ترينش ... لاشك أن المجلس البلدى لديه السلطة القانونية ليلعب لعبة خاسرة لأملاك المستر سارتورياس ويفسد عليه ايجاراته دون أن يقدم له التعويضات المناسبة ، فنصيحتى اليكم هى أن تقوموا بعمل الاصلاحات الضرورية لاعداد المساكن على شكل نموذجى ونمط جديد . . والا انفقوا جزءا من المال لاصلاح المبنى الذى فى نهاية سوق كريبس . . أما المبنى الثانى فأجروه لنا لاتخاذه مخازن لشركة شمال التيمز للحوم الباردة . . أن المبنيين سيهدمان خلال عامين لافساح الجزئين الشرقى والغربى من الشارع الجديد ، وعندئذ ستحصلون على تعويضات كبيرة تكون

أرباحها ضعف القيمة الايجارية التى تحصلون عليها من هذه المساكن الآن قبل القيام بعمل الاصلاحات .. وتتخلصون بذلك من أكبر جزء من المساكن الموجودة ، وتتجنبون السمعة السيئة ولا يرميكم أحد بانكم ظلمة أو مستغلون

كوكين : مرحى مرحى. .أحسنت القول يا ليكتشين . . لقد عرضت القضية ببراعة مدهشة بتعبير سليم لا يصدر الا من رجل اعمال قدير

ترينش : هذا كلام جميل . . ولكن لماذا لا تنفذون هذا العمل بدون الرجوع الى ؟ هذا أمر يخصكم وحدكم .. والمبانى ملككم أنتم .. وأنتم الذين تحصلون على ايجاراتها .. اننى أملك أسهم الارض التى تقوم عليها فقط وأؤجرها للحصول على قيمة الاسهم وفوائدها . فما دورى أنا فى هذه القضية ؟

سارتورياس : ان هناك مخاطرة فى الموضوع .. أننا نريد أن نشركك معنا فى الخسائر كما تشترك فى الارباح .. سننفذ المشروع سويا .. فان نجح فأنت شريكنا فى ربحه وان خسر فعليك نصيبك فى الخسارة

ترينش : ومن أين تأتى المخاطرة ؟ وكيف تحدث الخسارة ؟

سارتورياس : قد يعدل المجلس البلدى عن رأيه فى آخر لحظة بعد .

أن نقيم الاصلاحات ، وقد يغير مجرى الشارع نفسه وقد يرى لسبب أو آخر أن يقلل من قيمة التعويضات .. وهكذا

ترينش : ولكن .. الا تعرف أن السبعمائة جنيه التى آخذها منكم والتى تكون ٧٪ من ثمن أسهم الارض الاصلية المرتهنة هى كل ما أملك فى الحياة وأنا لاأستطيع أن أعيش بأقل من هذا المبلغ بل انى اعيش على الضيق والشظف ..؟

كوكين : أنا لا أرى وجه الخسارة !! ان الليدى روكس ديل تملك ضيعات واسعة وهى تمنحك أى شىء تريده ... أنا أعلم ذلك

ترينش : أسكت يا بلى .. أنت لا تعلم شيئا .. اننى لا أقبل صدقة من أى مخلوق ولو كان من خالتى نفسها .. ان هذه الأرض ورثتها من أبى ولم تصل الى من أحد سواه . وأنا قانع بها ولا أريد سواها ... لا يا مستر سارتورياس . كان بودى أن اقف معك فى هذا المشروع . خصوصا وانى أكثر الناس ضيقا ببيوت الأرامل والفقراء واعتبر أن مالها حرام وأنها وصمة فى جبين الانسانية ... ولكن ليس بوسعى أن أساعدك

ليكتشيز : ما الفرق بين مالك وبين مال خالتك التى ليس لها وريث سواك ؟ انى لا أعتبر هذه شهامة أنها حماقة ولا شك ...

تريتش : هذا ليس من شأنك يامستر ليكتشيز و ليس من حقك أن توجه الى مثل هذه العبارات الجارحة ويحسن أن تحفظ لسانك أنت أيضا

ليكتشيز : أننا فى بلاد حرة . ومن حق كل مواطن أن يبدى رأيه الحر .

كوكين : أحسنت .. أحسنت .

ليكتشيز : هيا هيا يادكتور ترنش . أين شعورك الحر؟وأين مواساتك وألمك للفقراء ؟ ألا تذكر كيف كنت محزونا وثائرا يوم شرحت لك فى أول مقابلة لنا . كيف أجمع المال من اليتامى والمقعدين ماذا حدث ؟ أتريد أن تنقلب الى رجل قاس مرة اخرى ؟

تريتش : لا يامستر ليكتشيز انك لا يمكن ان تخدعنى او تؤثر على بهذه الطريقة .. انى لا استطيع ان اعيش بأقل من ايرادى الحالى وافضل ان اموت جوعا على ان امد يدى نحو اى فرد من افراد اسرتى

ليكتشيز : (يقفز وقد طرأت له فكرة جديدة)

اسمح لى يادكتور ترنش واسمح لى يامستر سارتورياس. اعذرونى على هذه الصراحة ... لماذا لا يتزوج الدكتور تريتش من الآنسة بلانش و تصبح الشركة قائمة لحما ودما بين صاحب الأرض وصاحب

الاملاك و بين الدائن و المدين و لا تكون هناك مجازفة و لا يبقى بينكم مخاطرة و تتركان الامر لله و تسلمان الظروف للمقادير ، و انتما وحظكما فى مصير التعويضات !!؟

(ينظر ليكتشيز اليهما نظرة الانتصار لابداء هذه الفكرة التى ظنها رائعة)

كوكين : انك نسيت يامستر ليكتشيز أن السيدة الصغيرة يجب ان يحسب لها الحساب لرأيها وهى قدعارضت معارضة قاطعةفى الزواج من تريتش

ليكتشيز : هيا يا حضرة السكرتير انا اعرف رقة شعور الآنسة بلانش و مقدار تقديرها لصالح ابيها اشرح لها هذه الفكرة الرائعة لتعرف ان هذا الزواج فى مصلحتها ومصلحة والدها معا وفيه الحل الوحيد لجميع المشاكل الأدبية و المالية

سارتورياس : (ضاحكا)

اتظن يا ليكتشيز ان مصير ابنتى يجب أن يوضع فى مثل هـــذه المناقشات المالية ؟

ليكتشيز : هيا يامستر سارتورياس لاتقل هذا الكلام انك

لست الاب الوحيد فى العالم ... كلنا لنا بنات ونحن لا نقل عنك فى رقة الشعور فاذا كانت المصلحة العاطفية تتفق مع المصالح المالية .. فلماذا لا تسير الامور على طبيعتها متفقة مع المصلحتين ؟ ان ترنش شاب جميل الشكل طيب القلب نبيل الاصل .. فهل تجد بلانش لنفسها ، زوجا خير منه ؟

ترنش : لست أفهم .. لماذا تتدخل يا ليكتشين فى كل هذه الامور؟

ليكتشين : لا بد لى ان أصل فى الأمر الى حل ان فيه صالحى وفيه حياة المستر سارتورياس كلها .. وليس هناك ما يمنعك من ان تعمل لصالحى وصالحه اذا كان هذا لا يضيرك فى شىء ونحن الان نريد أن نعرف رأيك أنت .. هل أنت لا تزال مصرا على الزواج من المس سارتورياس اذا استطعنا اقناعها بذلك ؟

ترنش : لا لقد تركت هذه الفكرة منذ زمن طويل

سارتورياس : (ثائرا ومحتجا ويقوم واقفا)
ما هذا

ليكتشين : مهلا يامستر سارتورياس .. مهلا يادكتور ترنش ... انك تقول انك لم تفكر فى الموضوع منذ زمن طويل .. ولكن ها نحن قد فكرنا فيه مرة اخرة فما رايك الآن ؟

ترنش (بفظاظة)

رأيى أن العلاقة الشخصية بينى و بين المس سارتورياس لا يصح أن تكون موضوعا للمساومة

(يقوم واقفا و يحاول ترك الحجرة التى يجتمعون فيها)

ليكتشين : حسنا .. لقد عبرت عن نفسك أحسن تعبير كأى رجل نبيل .. والآن هل تسمح لنا أن نتركك هنا عشرة دقائق فقط لتضع صيغة الاتفاق بينى و بين المستر سارتورياس على الجزء الاخير الذى لا يخصك لتأجيره لمخازن شركة المأكولات ؟

ترنش : طبعـــا .. بكل سرور .

(سارتورياس يفتح البـــاب و يقدم مستر كوكين عليه)

سارتورياس : بعدك ياسيدى

كوكين : (ينحنى باحترام)
شكرا لك ياسيدى .. تفضل

(يخرجون من الحجرة و يدخلون الى حجرة المكتب ويقفلون البـاب خلفهـــم)

ترنش : يجد نفسه وحده فى الحجـرة ، يبحث حوله و يصغى بانتباه .. ثم يذهب على أطراف قدميه نحو البيانو فيجد صـــورة بلانش الزيتية فوقه وهى فى وضع يأخذ بالعقـول و يداها مطويتان وعيناها مفتوحتان بشكل جذاب .. تظهر بلانش عندالباب .. و تنظر

اليه فتراه موليا ظهره مشغولا بالنظر الى صورتها .. تتوقف عن الحركه وتراقبه .. يقترب من الصورة ويقترب أكثر .. ثم يخلعها من مكانها ويقربها من وجهه .. يقبل الصورة بحرارة وهو يتمتم ..) أحبك أيتها الشيطانة الجميلة . ولكن الوداع لك والوداع لحبي ..

(تراه بلانش وهو يقبل صورتها .. وتسمعه وهو يودعها ويودع حبها .. يعيد الصورة الى مكانها ، تخرج بلانش حتى لا يراها ثم تعود مرة أخرى وتطرق الباب)

أدخـــل ... أدخـل .

بلانش : « تدخـــل »

من أرى ؟ اهذا انت ؟ هـل بلغت بك الضعة الى ان تعـود الى هـذا البيت مرة أخرى بعد ان طردناك منه ؟ ... لا بد ان نفسك قد وصلت الى الحضيض ... لماذا لا تذهب من هنا

ترنش : يتقهقر خطوتين من هول المفاجأة ويحمر وجهه غضبا وخجلا لسوء المقابلة .. يأخـذ قبعته فى يده ويسـرع بالخروج ولكنها تقف فى وجهه وتمنعه من المسير

« يعود الى كرسيه فيجلس عليه مكتوف الذراعين »

بلانش : أظنك تريد أن تقنعنى بأنك عدت الى هنا لبحث

امور مالية هامة لتحقيق سعادة هؤلاء الفقراء باعادة اصلاح البيوت التى يسكنها الارامل ويسكنها المساكين ... اليس كذلك ؟

« ترنش ينظر اليها نظرة الغاضب لكرامته الآسف من اجل عزته والثائر على سوء مقابلته ولا يرد على اسئلتها »

لقد سمعت كل شيء من خلف هذا الباب وعرفت انك لا تقل حقارة عن ابى .. لقد كنت بالامس تدافع عن المساكين وتبكى من اجل المحتاجين ، واقت الدنيا واقعدتها من اجل المال الحرام الذى تجمعه منهم .. وابيت ان تدنس يدك باخذ بنس واحد من مال ابى بل لقد ضحيت بخطوبتى اليك وعصفت بحبك منى وهواك لى من اجل هؤلاء المساكين ... فما بالك اليوم وقد وجدنا سبيل الخلاص واعددنا العدة لاصلاح البيوت تاخذك الانانية ويدعوك حب الذات الى انكار مبادئك السامية والنزول عن مشاعرك النبيلة من اجل المال ومن اجل الايراد السنوى الذى تجمعه ؟؟؟ ... اين علمك الذى تعلمته ؟ اين خلقك الذى اكتسبته ؟ اين نبل اصلك الذى نشأت منه ؟ وا أسفاه لقد ضاع من الدنيا الوفاء ... اننى لم اكن حتى اليوم اعرف سوء الموقف بل سوء المصير

(لا يرد)

انت لا ترد ... ربما تظن نفسك مجروح الكرامة .. نعم هذا

صحيح .. ولكنك لا تجد ما ترد به .. فماذا تقول دفاعا عن نفسك ؟ وكيف تبرر هذا المسلك المشين من جهتك ؟ والآن اظن انني وقفت فى طريقك وعطلتك عن الخروج

(تقـــوم واقفة)

لقد رايتك وانت تمسك بصورتى ... فماذا كنت تفعل بها

(تركع على قدميها وتقترب منه ثم تقبله قبلة طويلة حارة فى فمه فتبدو الدهشة على ترنش ... تسمع اصوات من الخارج فتسرع بالجلوس على احد الكراسى بعد ان تدفعه بسرعة بعيدا عنها ... يدخل كوكين ولكتشيز وسارتورياس قادمين من حجرة المكتب سارتورياس واكتشيز يتوجهان نحو ترنش ... يذهب كوكين الى بلانش بطريقته المفتعله)

كوكين : كيف حالك يا مس سارتورياس ؟ ! اليس الجـــو جميلا اليوم ؟ بعد عودة الحبيب الشارد

(تناوله يدها فيقبلها برشاقة)

بلانش : أن اليوم هو أسعد يوم فى حياتى يامستر كوكين ... وانى سعيدة أيضا برؤيتك

ليكتشيز : (يقترب من تريتش ويقول له بصوت منخفض)

أسعد يوم فى حياتها !؟؟ هل هناك اخبار سارة لنا يادكتور تريتش؟

تريتش : (يلتفت الى سارتورياس ويقول له بأعلى صوته)

انني سأشترك معك فى هذا المشـــروع يامستر سارتورياس ... سواء حصلت على تعويضات أو لم أحصل عليها ... وسأكون الى جانبك يامستر ليكتشيز فى اصلاح هذه البيوت وجميع البيوت الاخرى ... خسرنا فى ذلك أو ربحنا ولنبدأ معا عهدا جديدا

(يقوم سارتورياس ويصافحه ... يصفق كوكين بكلتا يديه ... يعانقه ليكتشيز)

الوصيفة : (تدخـــل)

العشاء جاهز ياسيدى

(ستـــار)